310.21 Harvard University
Library

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY
22 JUL 1972
Tel. 260458

لجناب مكتبة الكلية السورية

من المؤلفة
لبيبة هاشم

370.4
H34kA

كتاب في التربية

وهو مجموع محاضرات

ألقتها في الجامعة المصرية سنة ١٩١١

19292

لبيبة هاشم

صاحبة ومحررة مجلة فتاة الشرق

19292

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

LIBRARY
PRINCETON THEOLOGICAL SEMINARY

تقدمة الكتاب

الى حضرة صاحب الدولة الأمير احمد فؤاد باشا رئيس الجامعة المصرية

ان ما تبذلونه من الهمة والاجتهاد في تربية الناشئة المصرية لجعلها في عداد الامم الراقية وما تصرفونه من العناية بتربية المرأة وتهذيب اخلاقها لتبلغ ذروة الكمال دفعني لأن اقدم الى مقامكم السامي هذا الكتاب المشتمل على المحاضرات التي القيتها في الجامعة المصرية في فن تربية الأولاد الذين هم رجال المستقبل فارجو ان تتنازلوا الى قبوله وهذا حسبي

لبيبه هاشم

مقدمة

يحتوي هذا الكتاب على ملخص محاضرات في التربية ألقيتها على السيدات في الجامعة المصرية سنة ١٩١١ وقد اخترت هذا الموضوع لانهُ أهمّ ما نحتاج اليهِ في عصرنا الحاضر فنال ذلك ارتياحاً عظيماً لدى العقلاء والادباء فانهالت عليّ رسائل الثناء منهم متتابعة بما دفعني الى اجابة طلب الجامعة من حيث زيادة التطويل واستيفاء البحث بالرغم عن كثرة اشغالي

وقد تلطفت الجامعة المصرية حفظها الله فعنيت بطبع بعض نسخ من كل من هذه المحاضرات على الآلة الكاتبة ونشرتها في أهم الجرائد المصرية فجاء فيها أغلاط مطبعية لا تخفى على الاديب

فاشكر للجامعة المصرية ثقتها بي واثني على سائر الجرائد والادباء الذين قابلوا محاضراتي بالاهتمام والاستحسان تنشيطاً لي سائلة المولى ان يلهمنا جميعاً الى ما فيهِ خير البلاد وفائدة ابنائها

لبيبه هاشم

صاحبة مجلة فتاة الشرق

بمصر

المحاضرة الاولى

التربيـة

المقدمة

حياة الأمم رجالها ونساؤها ولا رجال ولا نساء الا حيث الاجسام الصحيحة والآداب الراقية وهذان الامران لا يتمان الا بالتربيـة القويمة لأن التربية هي التي تعين الطبيعة على انماء قوى الولد الجسدية والعقلية وتصونه من امراض الجهل الفتاكة واخطار الاهمال الكثيرة وتكسبه فوق ذلك من قوة البدن ودماثة الاخلاق وحسن الاختيار ما يؤهله لان يكون عضواً نافعاً في الهيئة الجامعة

ومن منا نحن النساء لا تحب ان ترى ولدها (سواء كان صبياً او ابنة) في مقدمة ذوي الشرف والاستقامة والمقامات العالية ومن اصحاب الفضل والصلاح والاحسان

أجل ان كلاً منا ترغب في ذلك وتتمناه ولكن قليلات هنّ اللواتي يساعدهنّ حسن الطالع على احرازه واذا قدّر لهنّ ذلك اي اذا قدّر ان يكون لهنّ اولاد محمودي الخصال فذلك اتفاقاً او بتغلب الخير في سليقة الاولاد وليس بفضل الامهات وعنايتهنّ

اقول ذلك وانا لا اجهل مبلغ آداب نسائنا وصفاء قلوبهنّ وانهنّ أبعد نساء العالم عن المنكرات واكثرهنّ تمسكاً باهداب الفضائل

والمبرات على ان ذلك لا يكفيهنّ لمعرفة كيفية الاعتناء بصحة اولادهنّ وارهاف اذهانهم اذ ان التربية علم واسع بل بحر زاخر لا يستطيع المربي خوض غماره بمجرد كونه فاضلاً او اديباً بل من الواجب ان يتعلمه علماً ويقف على كنه اسراره حتى يستحق ان توكل اليه العناية بالاولاد اولئك الصغار الذين يصبحون يوماً رجال المستقبل. وان صعوبة هذا العلم وعظم اهميته مع عدم تمكن الوالدين من معرفته قد دفعت الاقدمين الى اقامة المربين والمعلمين للاولاد وحذت حذوهم الشعوب الاوربية والاميركية في الاعصر الاخيرة فاهتمت في امر التربيـة اهتمامها بسائر العلوم او اكثر فارتقت بلادها وتقدم شعبها تقدماً باهراً

اما نحن فاننا لا نزال حتى الآن رجالاً ونساء نجهل قواعد التربية ولم يخطر لرؤساء مدارسنا الاهتمام بها ولا اكترث كتابنا بوضع مصنّف واحد لتعليم الوالدين فن تربية الاولاد حتى ان سلفاءنا مع ما بلغوا اليه من الحضارة وسعة المعارف وما اشتغلوا به من العلوم والفنون قد أغفلوا فن التربية ولم يثبتوا شيئاً من قوانينه في مصنفاتهم ولا يزال هـذا العلم مهملاً حتى يومنا الحاضر

ولـكن أملنا بهمة صاحب الدولة رئيس الجامعـة المصرية ورجال ادارتها الافاضل ان يعنوا في امر التربية عنايتهم في سائر العلوم التي تدرس في هذا المعهد العلمي فينشئوا فرعاً خاصاً لتعليم المعلمين قوانين التربية التي يجب ان يجروا عليها في معاملة الطلبة والاعتناء بصحة اجسامهم واخلاقهم في جميع المدارس وما ذلك ببعيـد على رجل الغيرة والفضل رجل الهمة

والإقدام . رجل الوطنية الصادقة . رجل الخير . رجل العمل . مثال الجد والنشاط . صاحب الدولة البرنس احمد فؤاد باشا حفظه الله وايده بمعونته الصمدانيـة لاتمام مقاصده الشريفة وتنفيذ اعماله العظيمة التي طلعت تباشير فوائدها على الامة المصرية وانتشر شذا محاسنها في سائر الاقطار العربية تذيع محامد مولانا عزيز القطر سمو الامير المعظم عباس حلمي الثاني خديوي مصر وسمو ولي عهده الكريم الامير عبد المنعم رئيس الشرف على هذا المعهد العلمي العظيم

أجل ليس ببعيد على غيرتهم العظيمة وهمتهم العالية ان نبلغ يوماً بآمالنا ما نرجوه من تحسن حالنا على انه وان تم لنا ذلك وبلغ معلمو مدارسنا أعلى منزلة من التربية فذلك لا ينقص من واجبات الوالدين نحو اولادهم ولا يغنيهم عن الاهتمام بهم في الصغر اي قبل دخولهم المدرسة وفي الكبر اي بعد خروجهم منهـا وفي ما بقي من الفترات التي يقضيها الولد الى جانب والديه بعيداً عن استاذه

ولما كانت الأم اكثر ملازمة للولد كان أمر تربيتهِ موكولاً اليها ولا سيما في دور الصغر وهو الذي أشد ما يكون فيه عقل الولد مرونة وقابلية للتكيف والتأثر بكل المؤثرات الخارجيـة فمن الظلم اذن ان تكون الأم جاهلة قوانين التربية لأنها تصبح بذلك آفة على ابنها بما تطبعهُ في ذهنهِ من المبادئ الفاسدة والاعتقادات السخيفة التي يصعب ان لم نقل يستحيل نزعها بعد ذلك

ولكي يتضح لنا ذلك جلياً لنتصور طفلاً بين يدي أُمٍّ جاهلة يتلوى

من ألم المغص أو التهاب الحلق او الحمى فتعلق تلك الوالدة في عنقه الحجُب وتعمل له تعاويذ أو تبخره بالملح واذا رمد تضع حول رأسهِ اللفائف وتترك الأقذار والاوساخ تتراكم على عينيهِ اعتقاداً بان غسلها مضر بهما فاذا كتبت لهذا الطفل الحياة و بقي له شيء من قوة البصر شب بين الخدم ان كان من طائفة الاغنياء أو ترك في وهاد الاهمال ان كان من الفقراء وفي كلا الحالين لا يطرق سمعهُ الاّ الاحاديث المضللة والحكايات الخرافية وقصص الجان والعفاريت فضلاً عن الشتائم والاكاذيب. فكيف تكون بربكنَّ حالة هذا الطفل صحياً وعقلياً؟ لا شك انها تكون حالة تعسة جداً لانه متى شب على هذه التربية الفاسدة فلا يرجى بعد ذلك ان تصلح المدرسة ما فسد من آدابهِ وتقوم ما اعوج من اخلاقه اذ أنى للاستاذ ان يؤثر على ذهنه المتشبع بالجهالة والقحة والبلادة والضلال

لا ريب ان السنين التي يقضيها الولد في المدرسة لا تكفي على طول مدتها لنسخ تلك المبادئ الخرقاء التي رسخت في طبعه وحل قيد الجهل والحمق الموضوع حول عنقه ولذلك يخرج من المدرسة وهو لا يفرق عما كان عليهِ وقت دخوله اليها الاَّ بمعرفة قواعد العلوم ومبادئ اللغات التي يشحن بها دماغه شحناً دون ان يستفيد منها أدباً وهو مطابق لقول الشاعر

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

فاذا علمنا ذلك كلهُ ورأينا بعض شباننا وبناتنا من خريجي المدارس يأتون احياناً اعمالاً وأقوالاً تدل بفسادها وتفاهتها على انهم ليسوا أرقى عقلاً من الجهلة الأميين والسوقة المتشردين لم يبقَ لنا سبيل للتعجب منهم

كما لم يك لنا حق بلومهم لانهم ابناء وبنات تربيتهم وما تلك الهيئات التي نشاهدهم عليها في الطرق والمتنزهات الاَّ صور معكوسة عن أخلاق أُمهاتهم

ولعمري أني لم أرَ عظة أبلغ من عمل ذلك المجرم وقد اقتيد للاعدام اذ مال على والدتهِ فقطع لسانها اعتقاداً بانهُ كان السبب في وصوله الى المشنقة وذلك بما كانت تلقيه والدتهُ عليهِ من احاديث الكذب والرياء وما كانت تبثه فيهِ من روح الشرور والمعاصي حتى أصبح بفاسد تعليمها وشرّ ارشاداتها افاكاً قاتلاً ولصاً شريراً وبالحقيقة ان مثل هذا لا يسمى مجرماً بل شهيداً شهيد الجهل شهيد التربية الفاسدة وما المجرم الحقيقي الذي يستحق الشنق سوى تلك المرأة التي قضى شؤم الطالع على ابنها ان تكون له أُماً

أجل ان الأم على شدة حبها لولدها وعطفها عليهِ هي التي تسلبه قوة جسده وبهاء طلعته وهي التي تقوده الى ظلمات السجون وتجره الى حبل المشنقة . . . . كما انها هي التي ترفعه الى أسمى مراقي الكمال وتحيك له بيدانها الترفة أثواب العافية والجمال

هذا ما جعلته مقدمة للموضوع الذي عزمت على البحث فيهِ والتبسط في فروعه وأسراره فلننتقل منه الى

المطلب الاول

في غاية التربية

ان التربيـة علم غايته انماء الخلال الحسنة الموجودة في جبلة الولد واستئصال جراثيم الشر منها على قدر الطاقة . اقول على قدر الطاقة لأن

من الصفات الموروثة ما يكون راسخاً في طبع الولد رسوخاً لا يمكن المربي نزعه مهما بذل من أنواع السياسة في معاملته وضروب الحنكة في تربيته ولكنه يستطيع في الغالب ان يلطفها أو يحولها الى غايات شريفة حسنة العواقب مثال ذلك اذا كان من طبع الولد العناد والتصلب في الرأي فباستطاعة المربي ان يداوي علة تصلبه بتعويده الحذر والتروي في الأمور قبل البت فيها بحيث لا يكون في اصراره ما يعود عليه بالضرر والندم

والتربية قائمة على نوعين اولهما تربية البدن بموجب القوانين الصحية وثانيهما تهذيب العقل بحسب النواميس الأدبية فينبغي ان يسير هذان النوعان عن يمين الولد وعن شماله بخطوات متعادلة من حين ولادته الى ان يبلغ أشده فان بدا تقصير في احدهما فاتت الفائدة المقصودة من التربية وكان مثل الولد مثل من يمشي على رجل واحدة

ألسنا نرى في كل يوم كثيرين من ذوي البنية القوية والأجسام الصحيحة كالقرويين مثلاً يقضون حياة طويلة وهم لا يفرقون عن حيوانات النقل بشكل معيشتهم واقتصارهم من دهرهم على كسر يتبلغونها واكواخ يأوون اليها. أو لسنا نرى أيضاً كثيرين من الاولاد الاذكياء الذين توفرت لهم وسائط التعليم والتربية الادبية يعيشون ضئيلي الأجسام ضعيفي القوى عاجزين عن ادراك كثير من الأماني التي يتمتع بها أترابهم وكانوا جديرين بها لولا ما فاتهم من صحة البدن وصلابة الأعصاب . نعم ان من الأمراض ما هو موروث كبعض المناقب والشوائب لا يمكن شفاؤه بمجرد العناية

الجسدية على ان كثيراً ما يكون مرض الاطفال وموتهم مسببين عن جهل الأمهات قوانين الصحة فانهُ يستدل من الاحصاآت الرسميـة ان عدد الوفيات يزداد في الأطفال زيادة مطردة على نسبة تأخر الأمة وجهلهـا قواعد التربية الجسدية . ويسؤنا القول ان معدل موت الأطفال في القطر المصري اكثر منهُ في سائر أقطار العالم وفي ذلك دليل واضح على ان فنّ التربية مجهول عندنا تماماً

ولا غرو فنحن نرى فتياتنا وشباننا يقدمون على الزواج وكلهم يجهل الواجبات الوالدية تمام الجهل فالشاب المتعلم لا يعرف سوى قواعد العلوم التي التقطها في المدرسة أو الصناعة التي يشتغل بها للقيام باوده والفتاة إما ان تكون امية جاهلة أو عارفة بالتطريز والعزف على البيانو والتكلم بلغات الأعاجم فاذا ما رزقا اولاداً حارا في كيفية تهذيبهم وأخذا يخبطان في تربيتهم خبطاً قد يودي بحياتهم ويفسد أخلاقهم حتى اذا مات احد منهم قالا هذا (عمره) ومن عاش مسقوماً سيء الخلق رديء السيرة قالا تلك (قسمته) وهكذا يقتل الآباء والامهات اجساد اولادهم ونفوسهم وآدابهم لقلة اختبارهم وتعرضهم لمهمة لم يسبق لهم علم بها ولم يستعدوا لها

ومن العجيب ان ما منهم من يتعاطى عملاً او صناعـة او حرفةً مهما كانت بسيطة قبل ان يتقن تعلمها اولاً فالمحامي لا ينصب نفسه للمحاماة قبل ان يدرس علم الحقوق والفلاح لا يتعاطى فن الزراعة الا وهو على علم او على بعض العلم بخصائص المزروعات وقابليـة الارض وتأثير السماد الى غير ذلك من الاختبارات الزراعية وهكذا النجار

والحداد والخياطة والممرضة وسائر الصنّاع والمستخدمين فانهم لا يتعاطون مهنة دون ان يتعلموها اولاً اما الآباء والامهات فانهم يتولون امر التربية ويسنون لاولادهم شرائع تجري قواعدها على اجسادهم واذهانهم وهم لا يدرون شيئاً من قوانين الصحة والتربية الادبية

وهذا ما دعاني الى اتخاذ التربية موضوعاً للبحث معكنّ ايتها السيدات الفاضلات علّنا بذلك نهتم في ايجاد وسائل لتحسين التربية في المدارس وتعليم الفتيات قوانين الصحة وقواعد الآداب الصحيحة حتى اذا اصبحنَ يوماً امهاتٍ يدركنَ ما عليهنّ من خطورة الواجبات الوالدية فيرتقي بذلك مجتمعنا ويصلح شأن افرادنا باصلاح التربية العمومية وتهذيب اخلاق الناشئة على قواعدها الصحيحة

ومعلوم اننا في عصر انتشرت فيه آيات المدنية الاوربية على ما فيها من المساوىء الكثيرة التي يجهر بها الغربيون انفسهم والتي كنا في مأمنٍ من اخطارها في عصور الجهالة الماضية فاصبح من المتوجب على الأم حتماً ان تسهر على بنيها وبناتها بعين التيقظ والاهتمام وترشدهم الى السبل القويمة وتنشئهم على اصول الآداب الراسخة والاخلاق الصالحة التي لا تؤثر بها عواصف الاهواء واعصار التقاليد جاعلة اساس تربيتها الشرف الصحيح والصيت الحسن اللذين اذا رسخا في امرءٍ هان عليه كل عزيز في سبيل صيانتهما

وما اجمل ما وقع تحت بصري في احد المؤلفات من ملحة حكمية انقلها اليكنّ تفكهة وذكرى

زعموا ان الماء والنار والصيت الحسن اصطحبوا مرة ثم ارادوا الافتراق فقالوا ليجعل كلٌّ منا لنفسه علامة نعرفه بها اذا طلبناه فقال الماء انا اكون حيث تكون الخضرة وقالت النار وانا اكون حيث يكون الدخان قال الصيت الحسن اما انا فان من يفقدني فلا يجدني ابداً

اننا نجد في هذه الملحة أمثولة حسنة يجدر بالأمهات تكرارها على مسامع ابنائهنَّ وبناتهنَّ حتى ترسخ في اذهانهم وتجعل فيهم استعداداً لاقتحام لجة الشبيبة على ما فيها من الاخطار دون ان يلحق باجسامهم وآدابهم امراض واضرار

× والتربية تتناول ادوار الحداثة والصبوة والكهولة وهي انما تتم في ثلاثة أنواع . النوع الاول « التربية الوالدية » وهو يأتي في زمن الطفولية والحداثة والنوع الثاني « التربية العلمية » وهو يتناول زمن الصبوة والنوع الثالث « تربية المرء نفسه بنفسه ×» وهذه تمتد بقدر استعداد المرء للاكتساب من مخالطة الناس ومعاشرتهم وسأبحث في كل نوع منها على قدر الاستطاعة على اني قبل الولوج في الموضوع أبسط لمحة عن حالة الوالدين وما يجب عليهما اتباعه لدى اولادهما بحيث يكون مقامهما محترماً لديهم وأوامرهما مطاعة منهم وتعاليمهما وارشاداتهما مفيدة لهم

المطلب الثاني

في الوالدين

رأى أحدهم ولداً في طريقه فاجتذب نظره اليهِ ما رآه فيهِ من امارات

الطيش والنزق وما كان يقذف به اخوانه ورفقاءه من الشتائم والسباب وما يرميهم به من الحجارة فاقترب منهُ وسأله ما اسمك فاجابه «شيطان» قال وما اسم أبيك ؟ اجاب «شيطان» قال وما اسم أُمك قال «شيطانة» قال وكيف ذلك . قال الولد إني اسمع ابي يدعو امي شيطانة وأُمي تسميه شيطاناً وكلاهما يناديني يا شيطان

ولا بدع فان الابوين هما أصل الاسرة ومن البديهي ان على الاصول ينبت الورق فلا يرجى من الشوك عنب ولا ينتظر من الشياطين رجال بل كما يكون الابوان ينشأ الاولاد . ولذلك فمن أول واجباتهما ان يحترم الواحد الآخر ويعامله باللطف والمعروف حتى يشبّ الاولاد على احترامهما كليهما هذا مع وجوب المحافظة على كل لفظة واشارة وسكنة تبدو منهما ولا سيما بحضرة الاولاد بحيث لا يقتبسون عنهما ما لا يودانه لهم من العادات والأخلاق فان ذهن الولد أشبه باسطوانة الحاكي (الفونوغراف) فهو يلتقط كل شيءٍ يراه أو يسمعهُ أو يشعر به وخصوصاً اذا كان ذلك الشيء صادراً عن والديه لما له من الثقة العظيمة بهما فضلاً عن مخالطتهِ إياهما وحدهما في زمن الصغر فهما والحالة هذه المثال الاكبر الذي يتخلق الاولاد بشكلهِ وينسجون على منواله وعليهِ فاقلُّ ما يلامس أعمال الوالدين من الخطأ والغلط ينتقل على صورته الى أذهان الاولاد ويعدّ لهما ذنب عظيم يعاقبان عليهِ في مستقبل الايام وذلك حينما يأتي زمن الحصاد زمن يجني فيهِ الآباء ثمار الحياة التي قضوها في سبيل تربية الابناء . . . . ويا لها من ساعة رهيبة تتفتت لهولها الأكباد ساعة

يعودون فيها من أولادهم بالخيبة ومن الانسانية باللعنات

ومن أفظع الأغلاط التي يرتكبها الزوجان ان يلوم أحدهما الآخر بحضور الاولاد على هفوة أتاها أو بادرة بدرت منهُ فان ذلك يقلل من وقارهما وينقص من ثقة الاولاد بهما وعلى الوالدين أيضاً ان يكونا باشي الوجه طلقي المحيا يعاملان الاولاد معاملة تتراوح بين الشدة واللين بحيث يكونان في كلا الحالين محبوبين منهم ومطاعين في آنٍ واحد لان الطاعة من اهم أركان التربية ولكنها اذا كانت ناتجة عن خوف الولد من مربيه فهي قلما تفيده لأن تأثيرها لا يتجاوز ظاهر أعماله . فاذا ما حانت له فرصة غياب مربيه أو غفلة منهُ داس القانون الذي وضعهُ له غير هيابٍ ولا وَجِل ولا خير في عملٍ يأتيهِ الانسان مرغماً

والانكليز من هـذا القبيل أقدر الامم على اقتياد الأطفال بالرفق والحب الى دائرة الطاعة

حدثني بعضهم قال : ذهبت مرة لزيارة احدى الأُسر الانكليزية فابصرت لدى دخولي ابن صاحب البيت وعمره خمس سنوات وكان واقفاً على بعد خطوات مني فحييتهُ فرد تحيتي بمثلها من بعيد ولم تكن تلك عادته فسألتهُ ان يقترب مني فأبى معتذراً بان امهُ أمرته ان لا يتعدى الخط الذي أمامهُ قال ذلك وأشار الى خط اسود يفصل بين قطع الرخام فسررت من طاعتهِ وأثنيت على أدبه

فمن من أولادنا يطيع والديه مثل هذه الطاعة التامة التي تعود عليهم بالفائدة وعلى الامهات بالراحة

ولكي تستتب السلطة للوالدين ويجتذبا اليهما قلوب الاطفال يجب ان يظهرا بمظهر العدل والانصاف ويلبسا لكل حالة لبوسها اي ان يستعملا الشدة والعنف حينما يكون الاولاد مذنبين وفي غير ذلك من الاوقات ينبغي ان يعاملاهم معاملة اصدقاء واقران . ولا بأس من مباسطتهم وملاعبتهم واهدائهم اشياء تسرهم حتى اذا عوقب الولد يوماً بحرمانه تلك الملاطفة والملاعبة يشعر بنغص وألم. وقد يكون في امتناعهما مرة عن تقبيله ما هو اشد تأثيراً عليهِ من العقاب والضرب

على ان بعض الآباء يزعمون ان التربية تكون باظهار العنف والقسوة والتلبس بالخشونة والعبوسة فيُرى الاب منهم مقطب الجبين في منزلهِ كأنهُ آلة للانتقام او مثال للارهاب فيجتنبهُ الاولاد ويتوارى كل منهم في زاوية خوفاً منهُ ورهبة من غضبهِ لا احتراماً لهُ او حباً بهِ وهذا ما يخالف قوانين التربية

يحكى عن جلالة امبراطور المانيا انهُ على سعة ملكه وعظم جبروتهِ وما عرف عنهُ من القسوة في معاملة اولاده والتدقيق في تربيتهم انهُ كان يلاعب اطفاله دائماً في ساعات فراغهِ من الاعمال وكثيراً ما كانوا يضعون في فمهِ لجاماً ويستاقونهُ كالجواد فيركب احدهم على ظهره ويعمل الآخر فيهِ السوط وهو يمشي على الاربع مقلداً بذلك الحيوانات بالرفس والنهيق واطفالهُ من حولهِ يقهقهون مسرورين

وبشاشة الوالدين في وقت الرضى هي بمثابة مكافئة للاولاد على صلاحهم كما ان استعمال القسوة والصرامة ضروري في تأديبهم وكلا

الامرين لازمٌ في موضعهِ

ولا يخفى ما للاطفال من رقة القلب ولطف المزاج وسرعة التأثر فلا يحسن بالآباء ان يكاشفوهم مصائبهم او يفاجئوهم بما يثير مكامن سرورهم او حزنهم بل ان يتجلدوا لديهم على ما يكرهون ويتركوهم في بحبوحة الصفاء يرتعون ومن الخطأ الفظيع اهمال اكثر اغنيائنا تربية اولادهم وتعليمهم بانفسهم اعتقاداً منهم ان ما جمعوه من الثروة والغنى يكفيهم مؤونة العلم والتربية فيكل الاب شؤونهم للأم وهذه تسلمهم لعناية الخدم. وقد فاتهم ان المال وحده لا يصيّر رجالاً ولا نساءً بل قد يكون معواناً للجهلة على الشر لأنهُ يساعدهم على اتباع اهواء النفس والنفس أمارة بالسوء. فضلاً عن ان عيشة الكسل والرخاء من شأنها ان تصغر الهمة وتحط العزيمة فيشب الولد على الترف والتنعم معتقداً بدوام الحال فاذا جاء وقت اضطر فيهِ الى العمل لم يكن ذا نشاط وذكاء بل يظل يتخبط في حياته تخبطاً يستهلك على الغالب ثروته ويفضي به الى الفاقة والذل وعلى الجملة فان من أول واجبات الابوين ولا سيما الأم التي هي رفيقة الولد ان تكون قدوة حسنة لاولادها لا تأتي ما تريد صرفهم عنهُ ولا تنهاهم عن أمر وتأتي مثله ولا تعدهم بشيء ثم تنكث بوعدها فانها بذلك تعلمهم الكذب والإخلاف ولا تأمرهم بطول الاناة والحلم ثم تسخط عليهم لأقل هفوة ربما لا تستوجب الغضب فيتدربون على الحدة والتبرم وسوء الخلق ومتى عرف الأبوان كيف يملكان طباعهما ويحافظان على مقامهما في الاسرة زال معظم الصعوبة من أمامهما ودانت لهما نفوس الصغار فيصبح في وسعهما حينئذٍ

ان يبثا فيهم روح الفضائل والميل الى العمل والاقتصاد والاستقامة والحشمة وبذلك يجدان فيهم يوماً رجالاً ذوي جد ونشاط يعملون على خيرهم وخير إخوانهم فى الانسانية ويخلصون الخدمة لوطنهم العزيز الذي لا تقوم له قائمة الاَّ بامثالهم ونساء متهذبات متثقفات قادرات على ارضاع الاولاد لبان التربية الصحيحة فيفاخران بهم ويعتزان بادابهم وفضائلهم

المطلب الثالث

﴿ في التربية الوالدية ﴾

تقسم التربية الوالدية الى قسمين بدنية وأدبية وكلتاهما تبتدئان من ساعة ولادة الطفل لأنه متى فتح الطفل عينيهِ على العالم وبكى فاحتضنتهُ والدته وسكتتهُ أو جاع فارضعتهُ فعملها هذا يُعد تربية له وعليهِ فكلما يبدو فيهِ من عادات وملكات فهي نتيجة التربية لأن الطفل يولد لا قوام له فى ذاته ولا قوة تعينهُ على معرفة الموجودات مما حواليه بل هو كأنما أُلقي فى تيار هذا العالم وليس له من يقيهِ من اضطراب أمواجه سوى تلك الأم التي ترأمهُ وتعطف عليهِ فيظل فى حمايتها متقلباً من حال الى حال ومن دور الى دور وهو كلما ترعرع ظهرت فيهِ نتيجة تربيتها اكثر فاكثر

وكثيراً ما نجد بين الاولاد من لا يسكت الاَّ اذا كان محمولاً فلا تستريح والدته الاَّ متى نام وقد لا يدع لها وقتاً للراحة بل يضطرها متى نام الى ان تضعهُ فى حجرها فاذا ألقتهُ على الفراش استيقظ واستأنف

الصياح فتظل الأم منهمكة به لا تستطيع ان تأتي عملاً آخر في بيتها وربما لا يهنأ له عيش الاَّ اذا كانت حلمة الثدي فى فمهِ دائماً وكثيراً ما تضطر الأم الى التعويض عن ثديها بحلمة اصطناعية يتلهى بها الطفل عن ازعاج والدته. وكذلك نرى في الاولاد من يطيق الاستلقاء على ظهره ساعات متوالية وهو يناغي ويلعب بيديه بدون أدنى ضجر حتى اذا ما دنا وقت الرضاع بكى وتململ وربما وجد فى تيقظ الأم ما لا يحتاج معهُ الى البكاء فهذا الفرق الذي نراه فى الولدين على ما هو معلوم من مشابهة طباعهما ومطابقة تركيبهما فى الأشهر الاولى ليس الاَّ نتيجة التربية. فالاول عودتهُ أُمهُ ان يكون محمولاً وان يأكل في اي وقت وساعة والآخر عودته ان يكون مستلقياً وان لا يطلب الغذاء الاَّ في أوقات معلومة ذلك لان الاولى كانت اذا بكى طفلها ألقمتهُ الثدي فاذا لم تنجح معها هذه الواسطة حملتهُ وجعلت تخطر بهِ في المنزل فيصبح وهو لا يسكت الاَّ على الحال التي تعودها في حين ان أُم الآخر كانت اذا بكى طفلها تبحث عن أسباب بكائهِ فتزيلها فاذا استمر على البكاء تركتهُ وشأنه الى ان يسكت من نفسه فيعلم من ثم ان الصياح لا يجديه فائدة وهكذا يدرج الولد على عادات مكتسبة تجعله يتخلق باخلاق خاصة ويتفرد باميال تميزه عن غيره من الاطفال فاذا كانت تلك العادات حسنة استراح الطفل وأراح أُمه من عناء كثير وكان له من ذلك استعداد لاكتساب أشرف الخصال وحزم على اقتحام أعظم الأعمال وهذا ما يثبت لنا ان حياة الانسان في دوره الاول موكولة لعناية الام ورعايتها فهي التي تبث فيهِ روح المبادىء

والطباع بحسب ما توحي اليها فطرتها ومكانتها من الاختبار حتى اذا نما الطفل جسماً وعقلاً نمت فيهِ تلك الأخلاق التي تأسس عليها وتأصلت فيهِ طباع امهِ التي وكلت اليها الطبيعة أمر العناية به والاستئثار بتربيتهِ فهي اذن مسؤولة عن سوء أخلاقه ممدوحة على حسن طباعه

ولا يخفى ان الولد كالغصن الرطب تميل به الأهواء كيفما مالت ولهذا يجب الاعتناء بتهذيبهِ وتقويمهِ قبل ان يجف ويتصلب وهو بذلك يختلف عن الحيوان الأعجم الذي لا يحتاج طبعاً الاَّ الى القوت ولا يدرك شيئاً من واجبات التربية سوى ما تدفعهُ اليهِ السليقة من العناية بصغاره حتى تبلغ السن التي تتمكن فيها من اعالة نفسها والاستقلال عن والديها

اما الانسان فانهُ مخلوق ادبي قابل للنمو العقلي كما هو قابل للنمو الجسمي على ان هذا النمو لا يتم من تلقاء نفسهِ بل يلزم له من يعتني بصحتهِ ويقوّم سيرتهُ ويكسبهُ من الصفات الحسنة ما يؤهله للأعمال السامية ويعظم ثقة الناس بهِ ورضاهم عنهُ لانهُ لا غنى للواحد عن الكل بل كلٌ مفتقر الى ان يكون لهُ علاقة مع بني جنسهِ فاذا لم يكن حاوياً من شروط التهذيب والاستقامة ما يؤهله للدخول بينهم والتعامل معهم سقط وكان ضربةً على والديهِ ومصيبة على المجتمع الانساني

ولطالما رأينا من السيدات من لا تحسن سياسة الصغار لجهلها قواعد التربية فيشب اولادها على التمرد والعصيان وقد اتصل الامر ببعضهم ان يكيل لوالدتهِ الصاع صاعين ويعيد اليها الشتيمة شتيمتين والضربة ضربتين وهي مع ذلك تبسم له استحساناً ناسبة ما قاله الى الاطوار

الصبيانية فيحول اعتقادها بذلك دون عقابه وعلى هذا تنتظر بلوغه السن التي فيها يعقل معنى تلك القبائح فيعدل عنها من تلقاء نفسه وفاتها ان من شب على خلق شاب عليهِ وان العلم في الصغر كالنقش في الحجر

وقد يتصل العجز بالأم الى ما وراء ذلك فتتوعد ولدها بشكايته الى أبيه كلما أتى ذنباً حتى اذا حضر ذلك الوالد المسكين متعباً منهوك القوى الجسدية والعقلية أخذت تزيد في همومهِ وتضاعف متاعبه بسرد عيوب ابنها وتقبيح أعماله وحينئذٍ فإما ان يغضي الأب عن مساوئ ابنه اكتفاءً بما يساوره من الهموم الخصوصية وبذلك تسقط منزلة الأم في عيني الولد لما يراه من عدم اكتراث أبيهِ بكلامها وشكايتها أو يهيج غضب الأب لما هو عليهِ من التعب والانفعال فيؤنبهُ بعنف ويضربهُ بقسوة لأجل ذنب سلف أو اطفاءً لنيران غضبهِ وفي كلتا الحالتين لا تفيد العقوبة الولد بل يتعلم منها احتقار والدته التي يجدها قاصرةً عن تربيتهِ بنفسها وكراهة والده الذي يعاقبهُ على ذنب مضى وبقسوة وحشية لوفرة الذنوب التي تبلغها عنهُ

ومعلوم ان الولد لا يشعر بوقر الذنب إلاَّ ساعة ارتكابه إياه ثم يزول هذا الشعور بزوال احمرار وجههِ ولولا ذلك لما كان يخطئ ثانياً وثالثاً الى ما شاء صغر سنهِ فمعاقبته إذن واجبة على أثر كل ذنب يأتيهِ والاَّ عدها ظلماً وعدواناً وأضمر بسببها كرهاً لوالديه وحقداً عليهما فاذا شبّ كان عقوقاً عاتياً لا يحترم لهما إرادة ولا يشعر نحوهما بانعطاف وحنان هذا فضلاً عما تجده الأم من التعب في سياسة أولادها مدة غياب أبيهم اذا كانوا لا يهابونها مثله ولا يطيعونها كما يطيعونهُ ولما كان الأب يغيب عادةً النهار بطوله

كانت هي في عذاب دائم وعليهِ يجب ان تتولى هي بنفسها تربية الاولاد من عقاب ونصح وارشاد متخذة لكل من بنيها وبناتها ما يوافق طباعه وأخلاقه من وسائل التهذيب ومتى فعلت ذلك نالت السلطان المطلق على أفكارهم وارادتهم وتمكنت من تربيتهم تربية حسنة واستراحت من أتعاب كثيرة فان الأم الراقيـة التي تعرف واجبات الأمومة تستطيع ان تربي أولادها بدون مشقة كبيرة مهما كانوا كثاراً وتقدر مع ذلك ان تقوم باشغال اخرى عديدة كالأعمال المنزلية والدرس والمطالعة وغير ذلك من الأعمال النافعة ومما يساعدها على ذلك رابطة الالفة وعامل الحب الطبيعي بينها وبين أولادها فاذا عرفت كيف تستعمل تلك العواطف في سبيل فائدتهم خضعوا لها وكانت ثقتهم بها غير محدودة اذ لا ينكر ما للحب من السلطان على المخلوقات وما له من التأثير على القلوب والأفكار . ولما كان الولد يميل بالطبع الى والدتهِ اكثر من سائر الناس فهو لا يرى إلاَّ رأيها ولا يتبع إلاَّ ارادتها وعليهِ فلا يجمل بالأم أن تهمل الاستفادة من هذه الثقة وتكل أمر العناية باولادها الى الخدم الذين يجهلون قوانين التربيـة بل اذا كان فيهم من يعرفها فمن أين له نظرات الأم المؤثرة وابتساماتها الحلوة التي قد يكون منها أصدق مهذب وأحسن رادع عن الشر بل من أين له الحنان الوالديّ الذي يجمع الصغار تحت جناح الحب والانصاف ويلحم فيما بينهم بلحمة الاخاء والوفاق بحيث لا يكون ثمة تحاسد أو تباغض بل يهتم كل من الاخوة بتقديم مصلحة أخيهِ على مصلحة نفسه . أما الأطفال الذين يحرمون هـذه العناية فيشبون وهم أعداء لأنفسهم ولغيرهم لا يميلون على

الاطلاق الى نفع سواهم وانما هـذا الميل ينمو فيهم تدريجاً بعناية والديهم حتى يبلغوا طوراً يرون فيهِ لزوم خدمة غيرهم ويقدرون الفائدة التي تقرر عليهم منها حق قدرها فيقومون بها عن طيبة خاطر ويعملون الواجب عليهم نحو اخوانهم الذين تجمعهم واياهم جامعة البشرية

واليكنَّ ما قالهُ شاعرنا الكريم حافظ أفندي ابراهيم

الأم مدرسة اذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روضٌ ان تعهده الحيا ... بالري أورق ايما ايراق
الأم أستاذ الاساتذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق

الى ان قال :

ليست نساؤكم حلىً وجواهراً ... خوف الضياع تصان في الاحقاق
ليست نساؤكم أثاثاً يقتنى ... في الدور بين مخادع وطباق

الى ان قال :

ربوا البنات على الفضيلة انها ... في الموقفين لهنَّ خير وثاق
وعليكم ان تستبين بناتكم ... نور الهدى وعلى الحياء الباقي

المحاضرة الثانية

التربية البدنية

ان من يذهب الى المعرض الزراعي الذي يقام سنوياً في القاهرة ويشاهد ما يعرض فيهِ من العجول المسمنة والخيول المطهمة وسائر الحيوانات التي يدل على ظاهرها عناية اصحابها التامة بتربيتها ونظافتها ويقابلها مع كثير من الاولاد الفقراء المتروكين لأيدي الجهل ورحمة القضاء يدرك حالاً ان اكثر الاولاد ولا سيما في الطبقة المنحطة هم أقل حظاً من اولئك الحيوانات لأنهم ينشأون في احضان القذارة وزوايا الاهمال معرضين لتأثير البرد والحر وسائر المؤثرات الطبيعية يغطي الذباب عيونهم وتفتك جراثيم الامراض بابدانهم فتودي بكثير منهم ومن عاش منهم كان مسقوماً هزيلاً ضعيف البصر والبصيرة او كفيفهما لا يستطيع ان يأتي عملاً يحتاج فيهِ الى الحزم والنشاط كالصناعة والتجارة والزراعة وغيرها من الاعمال التي يقوم عليها نجاح الامة وثروتها وارتقاؤها وكذلك النساء فانهنَّ لا يتمكنَّ من القيام بواجباتهنَّ الطبيعية والمنزلية حق القيام

ولو انصف والدو هؤلاء الاطفال المتروكين لخصُّوهم بجانب من عنايتهم بالحيوانات استناداً الى نواميس الطبيعة التي تجري احكامها على جميع انواع الحيوان بغير استثناء سواء فيها الحصان والانسان لانهما في الحقيقة واحد من حيث الاحتياج الى اسباب النمو واطالة الحياة هذا

اذا لم نقل ان الانسان احوج للعناية لما انه يكون ضعيفاً جداً حين ولادتهِ ثم ينشأ ويتقوى رويداً رويداً ولذلك وجب ان يدارى ضعفهُ طفلاً ثم يعوّد بدنهُ شيئاً فشيئاً على ما يطيقهُ ويلائم سنهُ من التأثيرات

على انهُ قد رسخ في اذهان الكثيرين ان العناية الصحية مضرة بالاولاد لانها تدعو الى الرفاهة المرهلة للابدان وانهُ افضل للاولاد ان يُتركوا وشأنهم لعناية الطبيعة واعتياد تأثيراتها مقدمين شواهد على مدعاهم بعض افراد نشأوا على اهمال قوانين الصحة واغفال ترتيب المعيشة ومع ذلك فهم اقوياء لا تؤثر فيهم العوارض الخارجية التي تؤثر في سواهم من المترفهين

أجل ان كثرة الرفاهية تدعو الى الضعف وتجعل في الجسم استعداداً للاصابة بالامراض وهي ليست في شيء من قواعد الصحة وانما الصحة تقوم بالمبالغة في النظافة وحسن اختيار المسكن وترتيب نظام المعيشة مع التعرض للتأثيرات الجائزة تخشيناً للاجسام وتقويةً للاعصاب وهذا غير الاهمال الذي يسبب كثرة الوفيات والابتلاء بانواع الرمد والحميات وغيرها من الاوبئة الفتاكة

فلكي تصان الاجسام من غوائل الامراض والاسقام لا بد من الاهتمام بها في الصغر لانهُ اذا استحكمت حلقات الضعف بالانسان وهو طفل تسربت اليهِ الامراض في الكبر بحيث لم يعد ينجع فيهِ علاج او دواء وعلى ذلك يكون امر العناية بالاطفال محصوراً بالأم وحدها لانها هي التي تلازم الطفل وترضعهُ وتقوم بغسل جسده وترتيب ملابسه

والسهر على صحتهِ لا يشاركها الزوج في ذلك لان عليهِ واجبات اخرى تستغرق جميع اوقاتهِ فلا يمكنهُ ان يساعدها في خدمة الاطفال بل من الضرورة ان يترك ذلك لعنايتها وهذا ما جعل الغربيين يهتمون اهتماماً عظيماً بتربية المرأة وتعليمها اذ انها هي المربية لرجال المستقبل وعلى نسبة حسن تربيتها يكون تقدم البلاد وتأخرها وعلى ذلك نرى ان البلاد مدينة الامهات

ولا يخفى انهُ متى كانت الأم عاقلة متهذبة واحسنت العناية بصحة ولدها والسهر عليهِ فانهُ يشب وفيهِ من القوة والنشاط وصفات الرجولة والاقدام ما يدفعهُ الى تسنم أعلى المناصب ويؤهله الى اقتحام معترك الحياة والفوز بالغنيمة التي ينشدها واما اذا كانت الأم جاهلة فانها تجازف بحياة ولدها وثمرة احشائها ليس باهمال ترتيب معيشتهِ فقط بل بتعريضهِ لامراض كثيرة بما تمسك بهِ من الاعتقادات الفاسدة والاوهام الخرافية كترك الاقذار متراكمة عليهِ ردًّا للعين واستعمال كثير من العلاجات التي يصفها الدجالون المحتالون وجاراتها العجائز وهذه العلاجات اذا لم تمت الطفل فانها تهدم جسمه وتفسد ذوقه فيشب ضعيفاً قليل الحزم جباناً عديم الهمة معداً للاصابات المرضية والاضطرابات العقلية فالولد اذن صنيعة الأم وفرع منها بل نسخة عن صورة أخلاقها ونسمة من حياتها فلنبحث في واجباتها نحوه وكيفية اعتنائها بهِ

المطلب الرابع

في تدبير الطفل عند ولادتهِ

ان أول ما يجب الاهتمام بهِ في تدبير الأطفال عند ولادتهم هو النظافة التامة لأنها لازمة لسلامة أجسادهم ودفع الأضرار عنهم فعقب ولادة الطفل يجب غسله حالاً بماء فاتر ويستدل على حرارة الماء بوضع الكوع فيهِ حتى يشعر بأنهُ أعلى من حرارة الجسم بقليل وكذلك الصابون فانهُ لازم لنظافة الطفل انما ينبغي التميز بين أنواع الصابون فان منهُ ما يؤثر على بشرة الطفل تأثيراً رديئاً لكثرة ما فيهِ من المواد القلوية وحذار من ايصال الصابون الى عيني الطفل فان ذلك يحدث فيهما التهاباً وألماً لا تحمد عاقبته

وليكن معلوماً لدى الأمهات ان استعمال الماء لغسل الأطفال عند ولادتهم لا تبعث على الخوف بل تفيد الصحة فائدة عظيمة وتقوي الاجسام وتبعد عنها الاضرار والجراثيم التي تتهدد حياة الطفل في كل آن وكم من اطفال تتسلخ أجسامهم وتضعف قواهم وتتسلط عليهم الأمراض من تراكم الأقذار وأدران الأوساخ

واكثر الامهات الشرقيات يدهن الأطفال عقب ولادتهم بماء مذاب فيهِ ملح اعتقاداً بأنهُ يمنع التسلخ من الجلد والتشقق فهذا خطأ كثيراً ما نبه اليهِ الاطباء لأنهُ فضلاً عن عدم فائدة الملح للطفل فهو يؤثر على بشرته البضة تأثيراً لا يستطيع الكبار احتماله فضلاً عن الأطفال

ولا يجوز غسل الطفل بالأيدي بل باسفنجة ناعمة أو بقطعة من الفلانلا ثم يلف بقطعة دافية من القماش الناعم وتمسح أذناه ومنخراه بقطعة من القطن المطهر ملفوفة على بعضها لا بواسطة دبوس أو شيء صلب ثم يترك مقدار عشرين دقيقة يتناول في اثنائها اللبن الى ان تعود حرارة جسمه الى الحالة الطبيعية فلا يعود يتأثر من البرد ثم يلبس ملابسه بعد ان يذر على جسمه مسحوق الأرز أو النشاء والحذر من استعمال الاسبيذاج الذي يستعمله بعض النساء فانهُ مركب رصاصي شديد الضرر

وقد جرت العادة ان تقام حفلة للطفل ووالدتهِ النفساء في المنزل عند تمام الاسبوع على ولادتهِ فهذا فضلاً عما فيهِ من الضرر للأم فانهُ يزعج الطفل كثيراً لأنهُ لا يجوز اخراج الطفل من غرفتهِ قبل ان يتم الاسبوعين واليكنّ ما جاء في كتاب العناية بالأطفال بهذا الصدد

(لا يجوز ان يخرج بالطفل من غرفتهِ قبل الزمن الذي يؤهل جسمه لتحمل الهواء والأفضل ان يخرج بهِ تدريجاً فيؤخذ حينما يصير ابن اسبوعين من غرفة الى غرفة أخرى هواؤها أبرد قليلاً حتى يتدرج على تحمل الهواء من غير ان يلحق به ضرر)

وقد أجمعت آراء الأطباء على وجوب اتقاء الضوضاء والأصوات المزعجة حول الطفل فانها تسبب له انزعاجاً عظيماً ولا بدع فاننا نرى الطفل عند ولادتهِ يستهل بالصياح مما يدل على تألمهِ لتغيير البيئة عليهِ وملامسة الهواء جلده ونفوذه الى مسالك التنفس حتى أقصى حويصلاتها وتأثير أشعة النور على شبكيتهِ الى غير ذلك من الأمور الغريبة عنهُ والمؤثرة

فيهِ فلا يصح ان يضاف اليها ما يزيد في اضطرابه كالجلبة والصياح والدق بالهاوَن عند رأس الطفل الى غير ذلك مما يفعله بعضهنَّ فان كل ذلك يورثهُ اضطراباً قد يفضي بهِ الى البله والجنون

ومما يجب الانتباه اليهِ وضع سرير الطفل بعيداً عن مجاري الهواء وتغيير مكانه من وقت الى آخر بحيث لا يقع النور عليه من جهة واحدة دائماً فيجتذب نظره اليها ويسبب لهُ حولاً أو انحرافاً في الجمجمة

المطلب الخامس

ارضاع الطفل

ان افضل غذاء جهزتهُ الطبيعة للطفل هو لبن الأم لانهُ مركب بشكل يصلح لتغذيتهِ ويساعد على نموه متدرجاً معهُ بالكثافة التي تلائم تدرجهُ بالنمو والقوة ولذلك ينبغي ان ترضع الأم طفلها بنفسها ولا يجوز ان تتخلف عن ارضاعهِ الاَّ لمانع صحي لانها قلَّ ان تجد مرضعاً يلائم لبنها حالة طفلها وصحته وسنه اما اذا اضطرت الأم للاستعانة بمرضع فمن الواجب ان تعول في انتقائها على الطبيب ومن ثم فلا ينبغي ان تترك الطفل لعنايتها وحدها مهما كانت مستجمعة من شروط الصحة والملائمة لانهُ قد يطرأ عليها عوارض في مدة الارضاع تجفف لبنها او تنقصهُ فتضطر بحكم الحاجة الى كتمان أمرها خوفاً من ان تطرد من خدمتها أو ان تفقد راتبها فتداري الحال باطعام الطفل بعض أطعمة صمغية أو لباب الخبز أو غير ذلك مما يصعب هضمه على الطفل ولا يقوم بغذائه فلا

تدري الأم الاَّ وقد هدم جسم ابنها ولزمتهُ الاسقام والعاهات التي يصعب او يستحيل شفاؤها وقد شاهدت أولاداً كثيرين مساقيم الأجسام ضعيفي الأعصاب الى حد الشلل تبدو فيهم دلائل البله وقلة الادراك ولدى التحقيق وجدت ان أسباب ذلك جميعها ناتجة عن عدم صلاحية الغذاء وانصراف الأم عن الاعتناء بولدها والسهر عليه كما يقضي عليها واجب الامومة مسلمة أمره الى ظئر غريبة لا تعرف شيئاً من قوانين الصحة ولا تشعر بعاطفة الحنان التي تدفع الأم بدافع السليقة لرعاية الطفل

أما التغييرات التي تطرأ على اللبن فمنها ما يكون ناتجاً عن مرض ومنها ما يكون عن نقص طبيعي لغير علة ظاهرة وأحياناً قد ينتج عن الانفعالات النفسانية كالخوف والحزن والغضب ومهما كانت هذه الاسباب فهي تؤثر في اللبن فتنقصه أو تغير تركيبه فتجعله عسر الهضم وفي بعض الأحوال سماً ناقعاً يقتل الطفل سريعاً وعلى ذلك اشير على الأم سواء كانت هي التي ترضع الطفل أو امرأة اخرى غيرها أن تستعين بالرضاعة الصناعية التي سأفيض البحث عنها لما قد يطرأ على المرضع من الاسباب المانعة لها من الارضاع فلا تكون ثمة حياة الطفل رهن تلك الحوادث وهدفاً لسهام الاقدار هذا فضلاً عن ان الغذاء الصناعي يجعل الولد في مأمن من تغيرات لبن الثدي ويوفر الراحة للأم أيضاً ويجعلها في حل من التقيد الدائم بولدها بحيث تستطيع تركه بضع ساعات عند الاقتضاء اذا كانت هي التي تتولى ارضاعه ويقلل من كبرياء المرضع واستبدادها اذا كانت امرأة مأجورة وليس منا من لم تعاني أو تسمع

باخبار المراضع وما تتحمله الامهات من مرّ العذاب في سبيل مداراتهنّ والصبر على مساوئهنّ وذلك اكراماً للطفل الذي لو تخلت عنه الظئرمات جوعاً ولا سيما متى كان بالغا السن التي يميز فيها بين الاشخاص فانه يأبى حينئذٍ قبول ثدي غيرها وهناك الطامة الكبرى والمصيبة التي تجبر الأم على الاذعان لاحكام المرضع وارادتها مهما كانت قاسية أما اذا تعود الطفل الرضاعة الصناعية واتضح للمرضع امكان الاستغناء عنها في أي وقت لتغيرت حالها وكان شأنها غير ما ذكرت من الاستبداد وسوء المعاملة

الرضاعة الصناعية — لقد اجمع مشاهير الاطباء على أن افضل نوع من انواع التغذية الصناعية هو لبن البقر ممزوجاً بالماء على مقادير تقل كلما تقدم الطفل بالعمر ويعطى بزجاجة بسيطة الصنع مالسة الباطن لكي تنظف بسهولة فلا يبقى أثر للبن فيها بعد الرضاع ويركب عليها حلمة متسعة الجوانب تسهيلاً لقلبها وغسلها من الداخل وقد استعاض الناس في أميركا الآن عن الزجاجة بفنجان من الفخار الصيني ذي انبوبة منحرفة تركب عليها حلمة الارضاع وهو سواء كان زجاجة أو فنجاناً فغسله واجب قبل الاستعمال بحيث لا يبقى فيه أثر للبن القديم فيكون سبباً في افساد اللبن الجديد وخطراً على حياة الطفل

وافضل طريقة لغسل الزجاجة هي أن يبرش الصابون ناعماً ويغلى مع الماء الى أن يذوب فيحفظ في وعاء لحين الحاجة وحينئذٍ يسكب منه قليل في الزجاجة المراد تنظيفها وترج هنيهة ثم تغسل بالماء البارد جملة مرات الى أن يزول أثر الصابون منها وعلى الأم أن تباشر ذلك بنفسها حرصاً على

حياة طفلها من جهل الخادمات واهمالهنّ والافضل أن يعطى اللبن فاترًا محلى بقليل من السكر ليشبه بذلك لبن الثدي ويكون مقبولاً من الرضيع

غش اللبن — ومن أهم الشروط الصحيـة أن يكون اللبن جديداً وخالياً من الجراثيم المرضية والأفضل أن يؤخذ من ضرع البقرة رأساً وذلك اما باحراز بقرة في المنزل أو بابتياع اللبن من الذين يطوفون في الشوارع بالبقر ويحلبونها على الأبواب امام ربة المنزل فانه افضل للتغذية من اللبن الذي يباع في الاسواق والذي قد يكون ممزوجاً بلبن الجاموس ولبن الماعز فيحصل اختلاف في تركيبه لاتحمد عاقبته فضلاً عن الاقذار التي يحملها من الآنية التي يوضع فيها فان من يقف على ضفاف الترع والمستنقعات ويعاين القرويات وهنّ يغسلنَ آنية اللبن بذلك الماء القذر الذي تشرب منه الحيوانات وتطفو على وجهه الجثث يدرك حالاً مقدار الخطر الذي ينجم عن الاغتذاء باللبن الذي يوضع فيها هذا فضلاً عن الغش الذي يعمد اليه تجار اللبن في قطرنا واستخراج قشدته ومزجه بماء النشاء والطباشير ليحفظ قوامه ولونه والقرويات يمزجنه بماء الترع فيزداد الضرر بما تحمله تلك المياه من جراثيم الامراض

غلي اللبن — ولغلي اللبن طرق كثيرة يطول بي شرحها وافضلها التعقيم وهو ان يستعمل لذلك جهاز من الصفيح ذي غطاء محكم يشتمل على زجاجات وحمالة لوضعها فيهـا وعند التعقيم توضع زجاجات اللبن في الجهاز مسدودة سداً محكماً ويملأ الجهاز الى حد مبين في باطنـهِ ويوضع على النار حتى يبلغ درجة الغليان فينزل عن النار وتؤخذ منهُ الزجاجات

وتحفظ في مكان بارد لحين الاستعمال

ترتيب أوقات الرضاع — من الواجب ان يرضع الطفل في أوقات معلومة سواء كان الارضاع طبيعياً أو صناعياً وان يكون بين كل نوبة واخرى فسحة كافية للهضم ويقتضي لذلك ساعتان او اكثر في مدة الثلاثة أشهر الأولى وثلاث ساعات في الأربعة أشهر التي تليها وأربع ساعات فيما بقي الى الشهر التاسع أو العاشر وحينئذٍ يمكن فطامه الاَّ اذا كانت حالته الصحية لا تسمح له بذلك فيوالى ارضاعه الى آخر الحول الأول

كمية الغذاء — أما كمية الغذاء فتختلف باختلاف عمر الطفل وحالتهِ الطبيعية والأفضل ان يعول على قابليتهِ في تقدير الكمية التي يحتاج اليها في كل وجبة فمتى كان الطفل صحيح الجسم ويرضع في أوقات مرتبة فهو يترك الثدي أو الزجاجة من تلقاء نفسه متى شعر بالشبع الاَّ اذا ارغم على الاستزادة من الغذاء فقد يفعل ويكون له من وراء ذلك ضرر عظيم فضلاً عن انهُ يعتاد الشراهة في الغذاء

ولا شك في أن الطفل الذي يجوع لا بد ان يعطش أيضاً ولذلك يحسن بان يعطى ملعقة صغيرة من الماء الفاتر بين فسحات الرضاع وخصوصاً في أيام الحرّ فتروي ظمأه وتجعله يكف عن البكاء وهي خير من ارضاعه كلما بكى لأن ادخال الطعام على الطعام يثقل على المعدة ويعطل وظيفة الهضم

وأما الماء فان له فائدة اخرى غير فائدة الإرواء وخصوصاً في اثناء الاسابيع الأولى وهي اراحة الكلى وانقاذها من كثير من الأمراض

تناقص اللبن — ومن المعلوم ان المرضع يجب ان تعتني بغذائها كي يجود لبنها ويصلح للتغذية على ان من المراضع المأجورات من تكون فقيرة لا تسمح لها الحال بتذوق الطعام الفاخر فاذا ما خدمت في بيوت الأغنياء لا تلبث ان تفرط بالاكل الى حد البشم فتصاب بسوء الهضم الذي يفضي الى نقص اللبن أو جفافه بتةً ولذلك يجب على الأم ان تلاحظها بالعناية الدقيقة فلا تدعها تتجاوز في طعامها المقدار اللازم

وكثيراً ما تكون الأم قوية الجسم صحيحة البنية ولكن لبنها قليل أو ناقص المواد الغذائية فعليها ان تلاحظ ذلك من عدم نمو الطفل النمو الكافي ومن التجائهِ الى البكاء غالباً فيجب في هذه الحالة ان تكف عن ارضاعه من ثديها حالاً لئلا يهزل ويسقم وتضطر أخيراً لتغذيتهِ بلبن البقر حين لا يكون معتاداً شربه فلا يقوى على هضمه وتزداد صحتهُ تأخراً على تأخر نخير للرضيع ان يغذى بالرضاعة الصناعية منذ ولادتهِ من ان يفاجأ بها بعد ان تضعف معدته ويعتل جسمه لسبب نقص الغذاء

الفطام — لقد اعتادت الامهات على فطام الأولاد فطاماً فجائياً أي انهنَّ يفصلنَ الولد عن ثديهنَّ دفعة واحدة ويباشرنَ تغذيتهُ بالاطعمة المختلفة وقد يطعمنهُ من المآكل الغليظة التي قد لا تهضمها معدة الكبار فضلاً عن الصغار ولا يخفى ما في هذا التغيير الفجائي من التعب وما ينجم عنهُ من الاضطراب في معدة الطفل وسوء الهضم الذي قد ينتهي بامراض كثيره هذا فضلاً عما يحدث للطفل من الآلام النفسانية لحرمانه من لذة الرضاع فجأة وما يظهر عليهِ من التغيظ والحقد حتى انهُ في اكثر

الاحيان يقلق الاسرة بصراخهِ ويلجئ الأم الى الاختباء منهُ متحملة هم سياستهِ ومداراتهِ فوق ما يؤلمها من احتباس اللبن بثدييها فاجتناباً لكل ذلك يتدرج الطفل على الاكل قبل الفطام بثلاثة أشهر بحيث تألف معدته الغذاء ويقل رضاعهِ تدريجاً فلا يصاب بعسر الهضم ولا تشكو والدتهُ من احتقان الثدي على أثر الفطام وهنا تظهر فائدة الرضاع الصناعي فانهُ اذا كانت قد سبقت للطفل عادة به لم يتأثر من انفصاله عن الثدى بل يجد في زجاجتهِ خير عوض يتغذى بهِ الى ان تصير معدته قادرة على هضم الاطعمة الاخرى

ومما يفيد الطفل في طور الفطام عصير البرتقال والعنب مع الماء يتناوله بملعقة أما الاطعمة النشائية فانها ثقيلة على المعد ولا سيما ما كان منها ممزوجاً بالسكر فانهُ يستميل الولد الى الاكثار منهُ وتحميل انسجة جسمه اكثر مما تحتاج اليهِ من العناصر السكرية والنشائية فتسوء صحته

المطلب السادس

كسوة الطفل

خير الثياب للاطفال ما كان خفيفاً واسعاً لا يثقل على اجسامهم اللطيفة ولا يعاكس حركاتهم اللازمة لنمو اجسامهم وفي ايام الحر يستعمل للملابس نسيج القطن او الكتان اللين اما في الايام الباردة فينبغي تلبيسهم ثياباً صوفية ناعمة اتقاء من تغييرات الجو الفجائية والافضل ان يكون نسيج الثياب خالياً من الصباغ ويكون زيها بسيطاً مجرداً من

الزخرف بحيث يمكن غسلها كلما اتسخت فلا تجتمع المكروبات في ثنياتها

ومن العادات المستهجنة عندنا لف الطفل بالاقمطة لفاً مشدوداً فمن الواجب ان تتجنب الأمهات هذه العادة السمجة لان الاقمطة تضغط على صدر الطفل وامعائه وتعيق دورة الدم وحركة التنفس وكثيراً ما يتسبب عنها موت الطفل وذهابه شهيد العادة

ومما يجب المحافظة عليه ايضاً ان تدفأ رجلا الطفل دائماً فقد قرر احد مشاهير الاطباء الانكليز ان تدفئة الارجل للاطفال تدفع عنهم امراضاً كثيرة اما عادة تغطية رأس الطفل في البيت فغير محمودة العاقبة وافل ما فيها من الضرر استحكامها من الطفل بحيث لو اهمل استعمالها يوماً او ساعة اصيب بنزلة او زكام او غيرهما من العوارض

انواع الثياب — تتألف ثياب الطفل من قمص وعناتر تغطي جسمه حتى اسفل بطنه ويحزم فوقها بحزام من النسيج اللين مقصوصاً بانحراف لكي يتكيف مع تحدب البطن بدون ان ينال الطفل ضغط كثير ويجب ان يكون الحزام عريضاً يغطي البطن واسفل الصدر ويلبس الطفل فوق هذه اثواباً طويلة للنهار تغطي رجليهِ في مدة الاشهر الاولى اما في الليل فيلبس قميص واسع طويل ايضاً والافضل ان يكون القميص مفتوحاً من الوراء كي يسهل تلبيسه للطفل وقد تحسن الأم صنعاً اذا ادخلت اكمام القميص في اكمام الثوب وألبستهما للطفل دفعة واحدة كي لا تجعد الاكمام الداخلية فتقلق راحة الولد في نومه

ومن المعلوم ان الطفل حينما يلقى على سريره مستيقظاً ويشرع في

تحريك يديه ورجليه يرتفع ثوبه وتنكشف رجلاه فاجتناباً لذلك تجذب اطراف الثوب وتربط بحيث يصبح الطفل كأنهُ في كيس ولكن يشترط في الثوب ان يكون طويلاً كي لا يضايق الطفل في حركته

وكذلك الحزام فانهُ كثيراً ما يرتفع الى ما تحت الابطين ويبقى البطن عارياً معرضاً لتأثير البرد وما ينجم عنه من المغص والاسهال ولذلك يعمل له تعليقة من القماش نفسه من الجهة الخلفية تجذب الى حفاظ مصنوع من القماش اللين بشكل مربع ويثنى من جهتيه حتى يصير مثلث الزوايا ثم يشد طرفاه العلويان حول بطن الطفل ويضم اليهما الطرف الثالث من بين الفخذين ويثبت الثلاثة فوق طرف الحزام من الجهة الامامية بدبوس انجليزي

ثم انهُ يجب تدفئة الملابس قبل استعمالها ولا سيما في الشتاء ومن الضروري نزع ملابس الطفل عند النوم واذا اضطرت الحاجة الأم الى استعمال الملابس القليلة لضيق ذات يدها فما عليها الاَّ ان تنزعها عنه في المساء وتنشرها في الهواء حتى يتطاير ما عليها من رائحة الجسم والعرق وفي اليوم الثاني تلبسها للطفل بعد ان تنزع عنه ملابس النوم

غسل الملابس — تغسل الملابس بالماء والصابون ثم تشطف جيداً بالماء البارد حتى يزول اثر الصابون تماماً والاَّ أثر بالجلد تأثيراً سيئاً والحذر من استعمال الصودا فانه يسبب تسلخاً في الجلد ولذلك يطلب من الأم ان تلاحظ بنفسها غسل ملابس طفلها حتى تحفظ حياته في هناء وسلام

وعند ما يبلغ الطفل الشهر السادس تستبدل ثيابه الطويلة باقصر منها لا يزيد طولها عن الكعبين وتستبدل ايضاً جواربه القصيرة بجوارب طويلة تغطي الركبتين وحينئذٍ يمرن الطفل على لبس الاحذية اللينة التي لا نعل لها حتى اذا بلغ السن الذي يمكنه فيها المشي في الطرق يستعمل له احذية عريضة لا تضغط على اصابع رجليه ويكون لها نعل خفيف يقي الرجل من الرطوبة ومصادمة الحجارة

ومن الضروري ان يكون الحذاء يميناً وشمالاً بحيث يلائم شكل الرجلين الطبيعي وهذا امر قلما يبالي له الناس مع انه ضروري جداً لراحة الاطفال وصيانة اقدامهم من التشوه وينبغي ان يغطي الكعبين (الكاحلين) ويربط من الامام بالعرى والشريط من غير ازرار

صدرة لاستقبال اللعاب — يكثر سيلان اللعاب عند الاطفال في الاشهر الاولى فتبتل الثياب ويصاب الطفل بالنزلات والالتهابات الشعبية بما يناله جسمه من الرطوبة وعلى ذلك ينبغي استعمال صدرة لاستقبال اللعاب تصنع من الكتان وتبطن بالمشمع منعاً لنفوذ اللعاب الى الثياب وهي تكون مستديرة الاسفل تربط حول العنق وتتدلى فوق الصدر

وحينما يبتدئ الطفل بالحبو يصنع له ثوب على شكل كيس تقريباً يلبس فوق الثياب لوقايتها من الوسخ الذي ينتج من الحبو على الارض وهذا الثوب يسد من قاعدته ويترك فيه فتحتان للقدمين تبعد الواحدة عن الاخرى نحو خمسة عشر قيراطاً واكمام طويلة تقفل على الرسغ (المفصل)

ومن قوانين الصحة ان تغطي الثياب جميع أجزاء البدن ما عدا الوجه واطراف اليدين على انهُ قد سرت الينا عادة سيئة من الافرنج وهي تعرية الذراعين والساقين بحجة ان الهواء يقويها وهي حجة واهنة باقرار علمائهم انفسهم ومن أيسر مضارها ان البرد اذا مس ذراعي الولد قد يمتد تأثيره الى صدره فيصبح في خطر من الامراض الصدرية وهكذا الساقان فان البرد يسري منهما الى البطن فيسبب المغص والاسهال فضلاً عن انهُ اذا سقط الولد على الارض اثناء لعبه او رياضته وكانت ساقاه عاريتين جرح جلده وانسحجت بشرته لتعريها مما يقيها. اما اذا كان الحر شديداً فلا بأس اذا جعل لباس الذراعين من نسيج دقيق مع الاحتراس التام من التعرض للبرد لأنهُ مضر بالصحة في اي زمن اتفق وفي الجملة ينبغي ان تراعى قوانين الصحة في أمر كسوة الصغار كما في الكبار ان لم نقل اكثر لما يحتاج اليهِ الطفل من كثرة الاعتناء وزيادة الانتباه بسبب نحافة جسمه

. على انهُ لا تنكر فائدة تعريض الاطفال للهواء والشمس ولكن على قدر ما تتحمل اجسامهم لان الاطفال ليسوا سواء بالقوة والصبر على احتمال التأثيرات الطبيعية ولا يمكن ان تتخذ عيشة الاولاد في الارياف قياساً تجري عليهِ تربية اولاد المدن لان ذلك يختلف باختلاف العادة والمكان وفوق ذلك فان كثيرين يموتون في الارياف وفي المدن التي يتبع اهلها نظام التربية الريفية بسبب تعرضهم للبرد وحرّ الشمس ولا يعيش منهم الا قوي البنية من قبيل بقاء الانسب ولو راعوا القوانين الصحية في كلا المكانين لقلت الوفيات بين أطفالهم وزاد عدد سكان القطر زيادة عظيمة

المحاضرة الثالثة

المطلب السادس

سكنى الطفل

لقد أجمعت آراء الاطباء على ان اول شرط من شروط الصحة والعافية الهواء الجيد النقي فانهُ أعظم معين للانسان على الحياة وأقوى عضدٍ له على دفع العلل والاسقام لانهُ ينقي دمه ويقوي أعضاء جسمه ويساعده على هضم الطعام وكذلك الشمس فان نورها لازم لقتل جراثيم الامراض والاحياء الصغيرة التي هي سبب الفساد وعلة كثير من الامراض المعدية ولذلك تختار لسكن الطفل الحجر التي يدخلها الهواء ونور الشمس

قال أحد مشاهير الاطباء «اعطني هواءً نقياً فاستغني بهِ عن العقاقير الطبية في معالجة الاجسام» وقال آخر «ان الغرفة التي يدخلها الهواء ونور الشمس لا يدخلها طبيب» وكلما كانت المساكن مرتفعة عن سطح الارض كانت أصلح لحياة الاطفال لان الهواء يزداد نقاوة وجفافاً كلما ازداد ارتفاعاً اما الطبقات المنخفضة منهُ فهي غير صالحة للتنفس لانها مثقلة بالرطوبة ومشحونة في الغالب بانواع المكروبات المرضية والعناصر المضرة التي ترسب لثقلها فلا تستطيع التحليق كثيراً في الهواء لانهُ أخف منها وزناً

وينبغي تعهد غرفة الطفل بالنظافة وفتح النوافذ من وقت الى آخر لادخال الهواء النقي اليها والافضل تقليل الرياش فيها والاقتصار على

البسيط منهُ واللازم لراحة الولد وسلامتهِ فان كثرة الاثاث والتأنق بمضاعفة الانسجة التي تغطى بها الاسرة للزينة تمنع تخلل الهواء ولا بأس بوضع الستائر على النوافذ لكن لا ينبغي ان تكون مضاعفة ولا كثيرة الاثناء والمغابن لئلا تكون مجمعاً للغبار ومستقراً للجراثيم المنتشرة فيهِ فاننا لو نظرنا بمجهر الى تلك الكرانيش التي تزين بها الاسرَّة وستائر النوافذ وغيرها من الاثاث الذي يهمل تنظيفه كل يوم نرى الوفاً والوفاً من الحييوانات المرضية التي لا تراها العين المجردة لصغر حجمها راتعة تنعم في تلك المهاد ومن حولها حواجز حصينة من الاثناء والطيات تصونها وتساعدها على التوالد والنمو حتى اذا بلغت أشدها طارت وانسلت مع الهواء الى جسم الطفل ففتكت بهِ بلا شفقة ولا رحمة فالافضل ان يكون الاثاث قليلاً لانهُ كلما قلت الامتعة كانت الغرفة أدنى الى الشروط الصحية

أما ارض الغرفة فتدهن بالڤرنيش اذا كانت من الخشب والا فتغطى بالمشمع ويمسح بالماء في كل يوم فان ذلك أفضل من الكنس الذي يثير الغبار ويلصقه بالرياش ولا بأس بوضع السجاد فوقه بشرط ان يخرج خارجاً وينفض جيداً والاوفق ان يمسح بمحلول مضاد للفساد من وقت الى آخر فان ذلك مفيد للطفل ولا سيما متى بدأ بالحبو فان الغبار والاقذار تتطاير منها عند ملامسته اياها فتفسد الهواء الذي يتنفسه فضلاً عما يلصق منها بيديه اللتين كثيراً ما يضعهما في فمه فتنتقل المكروبات الى جسمه بسرعة عجيبة

ويجب الاحتراس من ادخال مصابيح البترول الى حجر النوم فان

دخانها يفسد الهواء لما فيه من العناصر القتالة وافضل منهـا انارة الشمع على ان يكون محفوظاً بقالب كروي من الزجاج اتقاء من الحريق

منام الطفل — يستعمل للطفل في الاشهر الاولى سرير هزاز يغطى بكلة (ناموسية) من الشاش او « التول » وهـذا افضل لاتساع خلاياه وسهولة نفوذ الهواء منه ولا يجوز ان يغطى السرير بملآءة او ما شاكلها من الاغطية الصفيقة بحجة انها تحفظ الطفل دافئاً فانها تحجب عنه الهواء وتسبب له الاختناق

ومن اقبح العادات واشدها خطراً ان ينام الطفل الى جانب امـه او مرضعه في فراش واحد فان اجتماع انفاسهما يفسد الهواء ويؤثر على صحة الطفل لنحافة بنيته فضلاً عن ان قربه منها قد يكون باعثاً على ارضاعه ليلاً كلما بكى وفي ذلك ما فيه من الضرر له واصابة معدته بعسر الهضم وعدا ذلك فقد يحدث ان تستغرق والدته في النوم فتقلب عليـه وتقتله او تجذب الغطاء فوق وجهه حتى تمنع عنه الهواء فيموت اختناقاً . ويجب ان يكون فراش الطفل ليناً ومغطى بملآءة من الكتان او القطن تطوى على مرتين او اكثر ويفصل بينها وبين الفراش بقطعة من المشمع تحفظه من البلل وتغير الملآءة حالما تبتل ولا بأس بلف قدمي الطفل بقطعة من الصوف الناعم في فصل الشتاء اما اذا بلغ الطفل سن الحداثة او اذا جاوز سن الصغر فينبغي في فراشه ان يكون اميل الى الصلابة منه الى الهشاشة وافضل ما يتخذ منه الصوف النقي او القطن ويجتنب استعمال الريش او الزغب لما فيهما من القبول لاختزان الحرارة كما ينبغي ان يجتنب

الاستكثار من الدثر المتراكمة الشديدة الضبط للحرارة لان كل افراز من الجسم يكون سبباً لضعفه وكذلك الوسائد فان استعمال القطن فيها افضل من الريش ولا سيما وسائد الاطفال لما في الريش من الحرارة المؤذية للرأس

اما مواعيد نوم الاطفال فمن الواجب ان ترتب ترتيباً يشبه ترتيب مواعيد ارضاعه واذا كان الطفل كثير الارق فلا يجوز ان يسقى مخدراً (كابي النوم) واشباهه فانه يسقم الطفل وقد يقتله اذا اعطي بجرعات كبيرة ولا بد لأرق الولد من اسباب وهي اما ان تكون ثيابه مبتلة او حزامه مشدوداً او يوجد حشرات في سريره كالبق او البراغيث فتحرمه الراحة بلذعاتها او تكون معدته مثقلة بالغذاء فعلى الأم حينئذٍ ان تتدارك جميع ذلك بان تتعهد السرير بالنظافة والتنقيب عما يقلق راحة طفلها ويسبب ارقه وتغير ملابسه في كل مساء وتواظب على مواعيد نومه وغذاءه فاذا لم تنجح معه كل هذه الوسائل فيكون مريضاً يستوجب عناية الطبيب

اما ما تفعله الحاضنات في مثل هذه الاحوال من تسكيت الطفل تارة بالهز وطوراً بالهدهدة وحيناً بحمله على اذرعتهنّ والمشي في الغرفة او مناغاته فهذا كله لا يأتي بفائدة الاَّ اذا اريد به مداعبة الطفل او ملاعبته

وينبغي ان ينوّم الطفل في الاشهر الاولى على ظهره ويميل قليلاً على احد جنبيه تارة الى اليمين وطوراً الى الشمال وبذلك يبقى الرأس على استدارته الطبيعية وتظل الاعضاء على استقامتها وبعد ذلك تترك الحرية

التامة للطفل ليتقلب في نومه على جنبه تارة او بطنه او ظهره اخرى لما في هذا التنقل من الفائدة للولد والراحة التامة لاعضاء جسمه

والطفل الصغير ينام في حالة الصحة نحو ١٨ او ١٩ ساعة في اليوم اي انه لا يستيقظ الاَّ وقت الرضاع والاستحمام وكلما تقدم في السن تقل ساعات نومه في النهار حتى يستغني عنهما شيئاً فشيئاً وهو في السنة الثالثة. ويقتصر حينئذٍ على النوم ليلاً ولما يبلغ السنة الرابعة والخامسة ينام في الساعة الثامنة ليلاً وفي السنة العاشرة الى الثانية عشرة ينام في الساعة التاسعة

ويجب الحذر من وقوع اشعة النور على وجه الولد في حال نومه فان ذلك يسبب له ارقاً وكذلك لا يجوز ان يقبّل او يمس عضو من اعضاء جسمه في حالة الرقاد الاَّ عند الاضطرار لان المفاجئة باللمس قد تؤثر على شعوره تأثيراً مضراً

اما اذا اصيب الولد بانحراف في صحته فعلى الأم ان تسهر عليه وتمرضه بنفسها ولا تترك امر العناية به للخدم بل تغير ملابسه بيدها وتحرص على راحته وابعاد كل ما يكدره او يضايقه من المناظر والاصوات وتجرعه الدواء بنفسها محتفظة بزجاجة العلاج ووضعها في مكان لا تصل اليه ايدي الصغار او الخدم فقد تعددت حوادث الموت بسبب الابدال في العلاجات وتجريعها للاطفال خطأ

ومما ينبغي التنبه له ان لا يكون في غرفة المنام شيء من الازهار او الروائح العطرية لما لها من التأثير في الجهاز العصبي وما ينبعث من الازهار من الحوامض الكربونية التي تضر بالنائم ضرراً بليغاً

وما قيل في غرفة النوم ينطبق ايضاً على غرفة النهار من حيث المبالغة في نطافتها والاقلال من الرياش فيها على انه يستحسن أن يوضع في هذه بعض النباتات والازهار وادوات اللعب وغير ذلك من الرسوم والصور التي تبهج نظر الولد وتستلفت بصره للسؤال عنها واستيضاح اشكالها

المطلب السابع

غذاء الولد

الغذاء لازم للحياة لزوم الماء والهواء لانهُ يكوّن الانسجة التي يتألف منها الجسم ويقوم بتجديد ما يفنى من دقائقها بسبب عملها الحيوي الدائم وهو ينتقل بعد هضمه الى الدم ويسير معه في الجسد فيوزع على الانسجة ما تحتاج اليه من الغذاء الذي يدخل في تركيبها ليخلف عليها ما يندثر فيها من الدقائق فيجب والحالة هـذه أن يراعى في كمية الغذاء وكيفيتهِ شروط الصحة واحتياجات الجسم

ومن المعلوم ان الولد على صغر جثتهِ أحوج من الكبار الى الغذاء الوافي لانماء بدنهِ فوق ما يتطلبهُ من التعويض عما يفنى من دقائقه

ويشترط في الطعام أن يكون سهل الهضم لان الفائدة انما تتم للجسم بما تهضمه المعدة وليس بما يزدرده الانسان من المواد الغذائية فاذا كان الطعام عسر الهضم ذهب اكثره جزافاً ولم يتحول الى غذاء فعالٍ سوى قسم قليل منهُ يكاد لا يكفي لحفظ كيان الانسجة ونموها

ترتيب مواعيد الطعام — ومن اللازم أيضاً ترتيب مواعيد الاكل للولد كترتيب مواعيد الرضاعة للطفل وذلك بأن يعين له ثلاث وجبات في النهار ولا بأس من أن يتخلل هذه الوجبات الثلاث فنجان من اللبن او ثمرة من الفاكهة تمكن الولد من انتظار وقت الطعام ومن دواعي الاسف ان اكثر الامهات الشرقيات لا يبالينَ بهذا الترتيب بل يطعمنَ الاولاد في أي وقت اتفق بحيث لا يُرونَ الاَّ وكسر الخبز في ايديهم وانواع الحلوى في افواههم وهذا فضلاً عن انهُ يعسر الهضم فهو يذهب بشهية الطفل بحيث لا يشعر بقابلية لتناول الطعام في وقتهِ المعين فيضعف جسمه من قلة ما يلحقهُ من الغذاء وتضعف معدته من توالي الطعام عليها بلا انتظام فضلاً عن ان هذه المعيشة تفسد حسَّ الولد وتضعفهُ في كثير من الأحوال

كمية الطعام — تختلف كمية الطعام التي يحتاج اليها الولد باختلاف سنهِ ومقدار قابليتهِ والاولى بالأم أن تستدل على شبع الولد من كفهِ عن الاكل من تلقاء نفسه فانهُ اصدق دليل على نيله حاجتهِ منهُ . أما ما جرت عليه عادة بعض الامهات من كف الاولاد عن الطعام مع ما يرون من طلبهم المزيد منهُ خشية أن يبلغوا حدّ البشم ان اطلق لهم العنان فهذا زعم فاسد ووهم باطل اذ ليس من دليل يدلهنَّ على انهم نالوا حاجتهم منهُ الاّ اذا تيقنَّ بحكمتهنَّ ان ثمَّ نهماً فحينئذٍ يجب أن يحذرنَ الاولاد من سوء عواقبهِ ويمنعنهم عن التمادي بالنصح والملاطفة لا بالعنف والفظاظة فان الاقلال من الطعام مضر كالاكثار منهُ وقد يكون الاقلال في بعض

الاحوال أشدَّ ضرراً لانه يحول دون نمو الاولاد ويبليهم بآفات متعددة وعدا ذلك فان اكثر ما يكون النهم ثمرة الحرمان وذلك بمقتضى الناموس الطبيعي المعروف برد الفعل وعلى ذلك قيل أحب شيء الى الانسان ما منع

ويلاحظ في الاولاد ميل خاص لتناول الاطعمة الحلوة وفي ذلك دليل على ان طبيعتهم صادقة الدلالة على ما يلائمهم فان الحلاوات من أفضل المآكل التي تولد الحرارة في الجسم فتخلف عليهِ ما يتلف من حرارته بالتشعع ولذلك صارت طبيعتهم تتطلبها وتدفعهم الى حبها واستمرائها فليس من العدل اذن أن يحرموا منها فانها مفيدة لصحتهم لازمة لنموهم

وكذلك الفواكه فانهم يميلون اليها وهي مفيدة لهم بدون شك ومغذية لاجسامهم وانما يجب أن تكون ناضجة واذا طبخت مع السكر فانها تكون اوفق للاولاد وأسهل للهضم ومن الاولاد من يكره بعض المآكل لسببٍ أو لغير سبب وقد يتمادى في ذلك اذا شعر من الأم تساهلاً فلا يبقى ثمت مطمع في ترضيتهِ او سبيل لاقناعهِ بوجوب العدول عن هذه العادة السيئة فينتج عن ذلك تعب للام وتنغيصٌ في حياتها ولا سيما من كثر عدد اولادها واختلفت اميالهم في المآكل بحيث ان ما يستطيبهُ هذا يعرض عنهُ الآخر وما تستمرئهُ هذه تكرههُ الأخرى فتزداد بليتها وتحتم على الاسرة بخاتم النكد والشقاء

وينشأ هذا الكره في الغالب عن وهمٍ في الاولاد وفي الكبار ايضاً بدليل ان الولد اذا دخل المدرسة وجلس مع رفاقهِ الى مائدة الطعام لا يلبث ان يأكل كما يأكلون وكذلك الرجل اذا قضت عليه الاحوال بالتغرب

تذللت اميـاله وتعود اكل ما لم يكن يألفهُ قبلاً فعلى الام في مثل هذه الاحوال أن تجعل حداً لهذا الوهم في ولدها وتوقف مجراه في الصغر قبل ان يستفحل أمره في الكبر فتقنعهُ بوجوب تذوق الطعام شيئاً فشيئاً حتى يألفهُ فلا يأنف منهُ وفي الوقت نفسه تبين له ان امتناعهُ عن الاكل ضربٌ من الوهم مبعثهُ ضعف الارادة وانهُ من العيب والعجز أن يكون ضعيف العقل الى حدّ أن تتملكه الاوهام . وانني اعرف كثيراتٍ من الامهات اللواتي نحونَ هذا النحو في تربية اولادهنّ فاستقامت اميالهم واصبحوا يأنفون من أن يظن فيهم شذوذاً في الاذواق ومن الواجب على الامهات اجتناب التنوق في المآكل غير انهُ يلزم تنويعها في كل وجبة لتكون امراً في ذوقهم وادعى الى تهييج قابليتهم

ويستحسن ملاطفة الاولاد على المائدة ومنحهم حرية تامة في تبادل الاحاديث المفرحة لان ذلك يزيد في شهيتهم ويساعدهم على سهولة الهضم ومن الامور المهمة التي يجدر بالامهات تعويد اولادهنّ عليها في الصغر مضغ الطعام جيداً قبل ابتلاعهِ والاَّ ثقل حمله على المعدة ولم يعد بالسهل استئصال تلك العادة منهُ في الكبر فيعيش حياته بطولها سقيم الجسم سيء الهضم

حدّث احـد الاطباء عن نفسه قال دُعيت لمعالجة رجل مصاب بعسر الهضم فلبثتُ مدة طويلة اعالجهُ حتى أعيـاني امره ولم أوفق الى دواءٍ يشفيهِ . واتفق انني عدتهُ يوماً وكان يأكل فجلست معهُ هنيهة ثم ما عتمت ان هتفت قائلاً : اني وجدت دواءً موافقاً يشفي معدتك بغير

شك وهو ان يكون مضغك للطعام اضعاف ما تفعله الآن فاما سمع العليل قولي عدل عن ازدراد الأكل كما كان يفعل قبلاً وبذلك تحسنت حاله وزال سقم معدته

ومما يجب تحذير الاطفال منهُ ايضاً التهام الطعام بسرعة او أكله ساخناً جداً لأن ذلك مضرّ بهم وكذلك قضم الأشياء اليابسة فانه يؤذي اسنانهم وبالجملة فان من الواجب تعليم الأولاد آداب المائدة حتى تصير طبيعية فيهم لا يتكلفونها تكلفاً في الكبر ولا يقعون في الخطأ بين الغرباء

هذا ما يتعلق بالأكل أما الشرب فاسوغه للأولاد الماء القراح الزلال يسقونهُ كلما طلبوا الشرب اللهمَّ الاَّ اذا كان عطشهم بعد النهوض عن المائدة وقبل ان يتم الهضم او على أثر التعب المفرط لأنهُ يكون عطشاً كاذباً واذا صبروا عليهِ هنيهة زال أُوامهم وانكسرت حدة عطشهم

المطلب الثامن

في الرياضة

الرياضة من أشد الاشياء ضرورة لنمو الولد وحفظ صحتهِ وتقوية عضلاته فانها تسرع الحركة الدموية وتساعد الأعضاء على استجلاب المواد اللازمة لحياتها بما تحدثهُ من سرعة التنفس واستنشاق الهواء بكميات وافرة فضلاً عن انها تسرع الهضم وتزيد القابلية ولا يخفى ان الحركة تفقد الجسم كثيراً من الغذاء فيسرع الهضم في تمثيل دوره حتى يعوض الجسم تلك الخسارة

ولا تقتصر فائدة الرياضة على صحة الجسم فقط بل تتناول الدماغ فتنشطهُ وتبعث بالسرور الى النفس فتضيء اشعتهُ أعماقها وتنشر شذاه في خلاياها فيستخفها الطرب وتستطيرها الآمال وبعكس ذلك تكون الحال اذا لم ينل الجسد نصيبهُ من الرياضة فان الدورة الدموية تضعف وتنحط قوة الأعصاب والتغذية وتهبط العضلات ويقلّ بروزها وتصفرّ البشرة واذا زيد في الخمول والسكون ضعف عمل القلب والدماغ وانحطت قوة الأجهزة شيئاً فشيئاً ومن ثم يقلّ امتصاص القناة الهضمية للأغذية فيعقب ذلك استعدادٌ لسرعة التهيج والتأثر وانحراف في ضروب الحس والمشاعر فتحدث الاعراض العصبية التي اكثر ما تصيب نسائنا وخصوصاً الطبقة العالية منهنّ حيث تكثر لديهنّ الخدم وتتوفر اسباب الراحة والرفاهية فيترفعنَ عن الأعمال ويقضينَ الاوقات جالسات في منازلهنّ على بسط الكسل واذا خرجنَ ففي مركباتٍ وسياراتٍ حيث يجلسنَ بصدورٍ خافقة من اثقال الملابس وضغط المشدّات وبذلك تبقى اعضاء اجسامهنّ ساكنة هادئة فتبطئ حركة التغذية ويضعف احتراق الاطعمة في الجسم فيتلبد ما يزيد عن حاجتهِ طبقات شحم بعضها فوق بعض ومتى بلغ الانسان حد الافراط من السمن نشأ عنده ضعف في القوى الدماغية وقلة نشاطٍ في الأعمال وانحطاط في الحافظة وميل الى الافراط في النوم هذا فضلاً عما يلحق بظاهر الجسم من تشويه الخلقة بفقد تناسب الأعضاء وزوال جمال التركيب والصعوبة في المشي ومن الغريب مع ذلك ان نرى اكثر السيدات في الشرق يرغبنَ في السمن ولا يدخرنَ وسعاً

في سبيل الاستزادة منهُ مع ما فيهِ من الضرر للصحة والمضادة للراحة والذوق

وقد ادركت الامم الغربية فائدة الرياضة الصحية فعمدوا اليها وتفننوا في انواعها وخصوا لها من اوقاتهم ما جعلها في عداد الواجبات الضرورية وتوسعوا في الاكثار من ضروبها ترغيباً للناس ولا سيما طلبة المدارس فعينوا الجوائز للبارعين تنشيطاً لهم وتشجيعاً لسواهم

والرياضة على انواع كثيرة وكلها مفيد في تقوية الاجسام ومساعدة الاعضاء على القيام بوظائفها . واقرب دليل على صحة هذا القول ما نراه في الفعلة والمزارعين والصناع وغيرهم من اصحاب المهن والصناعات التي تتطلب الاعمال الجسدية فانهم على قلة غذائهم وعدم ترتيب معيشتهم اشداء الاجسام اقوياء البنية لا تؤثر فيهم تقلبات الجو تأثيرها في غيرهم من المترفهين

على ان من انواع الرياضة ما لا يوافق جميع الاجسام ومنها ما لا يتوفر لجميع الناس على ان المشي افضلها وهو ما يستطيعه الجميع ولا سيما السيدات . ويشترط في المشي ان يكون في الهواء الطلق النقي وان لا يكون بعد الاكل مباشرة او في حالة فراغ المعدة تماماً

اما الاولاد فان نموَّ اجسامهم يتطلب الركض واللعب وما شاكل ذلك من الحركات العضلية العنيفة ولا سيما متى دخلوا المدرسة وانكبوا على الدروس بضع ساعات من النهار لا يمكنهم فيها مبارحة مكانهم فيتولاهم السأم والضجر ان لم يسمح لهم بالرياضة واللعب فمن الواجب ان يدفعوا اليه بالملاطفة واللين بعد اقناعهم عقلياً بوجوب الرياضة لانماء الجسم

والعقل معاً والتعويض بها عما فقدوه بمزاولة الدرس والمطالعة وان يوضع بين ايديهم من وسائل الرياضة ما يستميلهم اليه وان لا يكرهوا على نوعٍ من اللعب لا يحبونه او لا تقوى اجسامهم النحيفة على احتماله لأن انفع اللعب ما يأتونه من تلقاء انفسهم ويبتهجون بمزاولتهِ لا اللعب الذي يقترح عليهم فان هذا يكون حينئذٍ بمثابة باقي الواجبات التي يرغمون على القيام بها فلا يجدون فيه سروراً فتضيع الفائدة منهُ ومن الواجب أن يفهم الولد بان فترات اللعب هذه هي بمنزلة مكافأة له على طاعته لوالديهِ واجتهاده في دروسهِ وكلما كانت تلك المكافأة احبَّ اليهِ كان على اكتسابها احرص

ومن الظلم ان يزجر الاولاد عن الجلبة والضوضاء والقهقهة اثناء اللعب لان الصراخ يقوي الحنجرة والضحك ينعش القلب وهنا ملاحظة يجدر بالامهات التنبه اليها وهي وجوب منع الاولاد من اللعب في الازقة والحارات فانهُ على قدر ما يكون من فائدة الرياضة لهم في الخلاء يكون الضرر من لعبهم في الطرق المتدانيـة المنازل حيث يفسد الهواء وتكثر الرطوبة والاوساخ فضلاً عما يثيره الهواء من الغبار المتشبع بجراثيم الامراض وما يتعرض اليهِ الاولاد من اخطار العربات ومصادمـة الحيوانات وما يتطرق الى مسامعهم من الفاظ الطبقة المنحطة من السابلة

ولما كان اكثر البيوت في هذا القطر محروماً من الحدائق كان من الواجب ان يخصص للعب الاولاد غرفة واسعة النوافذ طلقة الهواء قليلة الاثاث فيمرحون فيها مدة الصغر ومتى دخلوا المدرسة وجدوا فيها من الاستعداد ما يكفي لترويض ابدانهم وفي الحالين لا تعذر الأم عن تركها

اولادها في الطرق بل من الواجب ان تحرص عليهم داخل المنزل وبذلك يسهل عليها كبح جماح ارادتهم فضلاً عما تكسبهم من الآداب الراقية بوجودها معهم ومزاولتها نصحهم وارشادهم في جميع احوالهم فاذا أغضت عنهم ولو مرة واحدة او تساهلت معهم تعسر عليها بعد ذلك ردهم عن الشوارع فتنحط آدابهم ويتعرضون للاخطار التي سبق ذكرها

على انه كيف كان الحال فلا بدّ من ارسال الاولاد الى المتنزهات البعيدة عن ضوضاء المدن وقيود الرسميات وذلك في كل يوم او في كل اسبوع مرتين على الأقل وهناك تطلق لهم الحرية في اللعب ورياضة البدن فتتسع صدورهم المرنة وتقوى رئاتهم الصغيرة باستنشاق الهواء النقي ومن الضروري ان تكون ملابسهم عندئذٍ بسيطة الزي لا واسعة فيتعثرون باذيالها ولا ضيقة فتعيقهم عن الحركة وان لا تكون غالية الثمن او كثيرة الزخرف حتى اذا دفعت بالولد طبيعته الى المرح والقفز وتكويم التراب والتمرغ على الاعشاب فتزجره امه او خادمته عن ذلك خوف ان تتسخ ثيابه وبذلك تصده عن رياضة ضرورية لنموه استبقاءً على ثيابه

واني أنصح للامهات بمرافقة اولادهنّ الى المتنزهات وعدم تركهم لعناية الخدم الذين يغلب عليهم الجهل والطيش ويكثر عددهم في بلادنا الشرقية حيث نرى الحواضن والخادمات الوطنيات لا يدركنَ شيئاً من واجب العناية بالاطفال ويكفينا للدلالة على صحة هذا القول ان نقصد الى المتنزهات والحدائق العمومية فنشاهد الخادمات مجتمعات يتبادلنَ الاحاديث والقصص والاطفال متروكين جانباً هذا معرض لحرارة الشمس

المحرقة وذاك جالس على الحشيش الندي وآخر يقبض التراب ويضعه في فمهِ او يثفيهِ على رأسه وعينيهِ واذا اتفق للخادمة ان مالت بوجهها نحو الولد ورأتهُ على تلك الحال بادرتهُ بالصياح وانهالت عليهِ بالشتائم وقد تتمادى بالقبح فتضربهُ او تقرصهُ قاصدة بذلك القاء الرعب في قلبه

وما يقال في الخادمات الوطنيات يقال ايضاً في الخادمات الاوربيات فان هؤلاء لا يمتزنَ عن الوطنيات الاَّ ببرقشة الظواهر لما ان اكثرهنَّ ان لم نقل كلهنَّ من الطبقات السافلة ومعلوم ان الطبقات السافلة في الشعوب الاوربية ما بعدها انحطاط في الآداب والتربية وفوق ذلك فانهنَّ على حقارة اصلهنَّ لا يخلينَ من تلك الصفات الغالبة في اقوامهنَّ ألا وهي احتقار الشرقيين والازدراء بهم فينتج عن ذلك ان الاولاد صبياناً وبنات يتشربون هذه المبادئ الساقطة وينشأون على احترام كل شيء غربي حتى السيئات واحتقار كل شيء شرقي حتى الحسنات

وعلى ذلك أنصح لكل والدة منا بالسهر على اولادها في البيوت ومرافقتهم في المتنزهات حرصاً عليهم من الأخطار والآفات ولا بأس بما تتحمله الأم في هذا السبيل من التعب والامتناع في بعض الاحيان عن الزيارات والمقابلات فانهنَّ يكافئنَ على ذلك بما يجدنهُ في اولادهم من حسن الآداب وصحة الاجسام وما يحرزنَ بواسطتهم من المجد والسعادة والفخار في مستقبل الايام

المحاضرة الرابعة

المطلب التاسع

﴿في التربية الادبية﴾

لقد اختلفت آراء العلماء في الانسان من حيث صفاته الطبيعية فذهب فريق منهم الى ان أصول الآداب مودعة في النفس وقال غيرهم النفس أمارة بالسوء

وقال الشاعر العربي

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وذهب فريق الى ان الولد يولد اما خيّراً أو شريراً أي لا تأثير للتربية عليهِ وعلى ذلك قالوا الطبعُ يغلب التطبع

وزعم غيرهم ان الطفل يولد على استعداد اما للخير او للشرّ وانهُ يميل الى الوجه الذي يريده المربي وعلى ذلك لا يكون للانسان شيء من الصفات الغريزية بل كل ما فيه من الاخلاق مكتسب و بعبارة أخرى انه صنيعة التربية

وبديهي ان هذا الاختلاف في آراء الباحثين قد نشأ عن تباين الصفات في البشر فهي بينما تسمو في بعضهم الى ذروة الفضائل والكمالات حتى ليداني بها الانسان مقام الملائكة اذا بها تسقط بغيرهم الى حضيض المفاسد والنقائص بحيث يصبح الانسان شرًّا من الوحوش الضارية والافاعي السامة . وبينما هي تصلح أحياناً بفعل التربية حتى تبلغ حداً ما

وراءه زيادة في الفضل والادب اذا بها تعصى المربي وتنشأ على عكس ما يريده لها من الخير والصلاح حالة كونها قد تستقيم بالفطرة احياناً فتجعل أصحابها في عداد أهل الفضل والنبل وان لم ينالوا أقل نصيب من التربية والتعليم

فما هو سبب الاختلاف العظيم في طبيعة هـذا المخلوق العجيب وهل يختلف حظه في الوجود فيخلق اما خيّراً او شريراً وهو بعد طفل لم يأتِ حسنة يستحق لاجلها المكافأة ولم يقترف أثماً يستوجب لأجله العقاب وهل يعقل ان تكون صفـاته تارةً مرنة تتكيف بالشكل الذي يريده المربي وتارة صلبة لا يؤثر بها شيء من تعاليمه وارشاداته حالة كونه واحداً في التركيب . كلا . وانما هناك سبب مستقرّ في النفس لازم لتنازع البقاء الا وهو حب الذات

فحب الذات ناموس طبيعي تخضع لأحكامه المخلوقات كافةً في حفظ كيانها وعلى ذلك فكل عمل يأتيهِ الناس على اختلاف مراتبهم وأعمارهم انما يعود الى ما يرون فيه مصلحة لهم وفائدة في حفظ ذواتهم . غير ان الطرق التي يتخذونها لبلوغ غايتهم هي التي تختلف باختلاف مبادئهم وأميالهم . فالعالم الفاضل الذي ينفق سني حياته في سبيل ترقية بني جنسه واعلاء شأنهم . والحسود الجاهل الذي يعمل على الحط من منزلة ذوي العلم والفضل والطبيب الذي يعمل الخير في دفع الاسقام ومعالجة الامراض والاثيم الذي يقترف الجرائم بسرقة الاموال وقتـل النفوس جميع هؤلاء يعملون لخدمة مصلحتهم مدفوعين بعامل حب الذات وانما تختلف الطرق

والغايات التي يتوخاها كل منهم لخدمة مصلحته فالسارق لا يسرق لمجرد رغبته في أذية الآخرين او لأنهُ خلق شريراً بل هو يسرق للانتفاع بما يحوزه من السرقة حفظاً لكيانه وانما يسلك تلك الخطة التي لا يسلكها الفاضل لأنهُ لم يتهذب نظيره ولا توفرت له وسائط التربية الصحيحة كما توفرت لذاك

وعليهِ فتكون التربية هي الواسطة الوحيدة الفعالة في تدميث أخلاق الولد وتقويم سيرته والميل بهِ الى الخير والصلاح ولكن ذلك لا يدل دلالة قاطعة على ان في التربية العلاج الفعال الذي لا يكذب في حال من الاحوال او ان التربية توجد في الولد ما هو غير موجود فيهِ بالفطرة فلعمري ان بعض الخلال المستهجنة قد تكون موروثة من الآباء بل من الجدود فيتعذر اصلاحها حتى لا أقول يستحيل وبعضها وان لم يكن موروثاً فقد يحول دون اصلاحه حائل طبيعي من بنية الولد او من مزاجه وكثيراً ما نشاهد اولاداً تتساوى شروط تربيتهم وتتفاوت مع ذلك أخلاقهم لتلك العلة كما اننا نرى كثيرين قد خصوا بمواهب سامية دون آخرين حتى انهم على قلة وسائط التربية احياناً يفوقون سواهم ممن ربي تربية حسنة

على انهُ مهما تأصلت المساوئ الموروثة في الانسان فانها تضعف بفعل التربية القويمة شيئاً فشيئاً حتى تتلاشى اخيراً ان لم يكن في عهد الفرد الواحد فعلى توالي الاحقاب والازمان

المطلب العاشر

في تقويم الاخلاق

تقدم لي القول ان تربية الصغار قائمة على ركنين مهمين أحدهما السلطان بالاضافة الى المربي وثانيهما الطاعة بالاضافة الى الولد الاَّ ان السلطان ينبغي ان يكون مقترناً بالرفق في حزم اي منزهاً عن العنف في غير موضعهِ وعن التساهل والتسامح في غير موضعهما كما ان الطاعة ينبغي ان تكون ناشئة عن ثقة الولد بمربيه وتيقنه بانهُ يحبهُ وبانهُ لا يريد بما يأمره بهِ سوى نجاحه وفائدته لا مجرد التحكم والاستبداد

ولما كانت التربية في الصغر تتعلق بالأم كما سبقت الاشارة الى ذلك فعليها ان تجتهد بحكمتها في امتلاك قياد ولدها بالتودد والملاطفة فاذا طلب شيئاً لا يوافق اعطائه اياه تمنعهُ عنهُ منعاً باتاً ولو مهما بكى وألح في طلبه فيفهم بعد ذلك انهُ لا فائدة من البكاء ولا مندوحة من الطاعة فيتعود الامتثال لارادة والدته واذا حاول الولد ان يمس شيئاً نهتهُ أمهُ عنهُ قبلاً فلا يوافق ان تخبئهُ عنهُ خوفاً من بكائه لأنها بذلك تجعله يأبى الامتناع عن مسك اي شيء ما لم يبعد عنه والأفضل في مثل هذه الحال ان تدع الشيء في مكانه وتوجب على ابنها عدم الدنو منهُ مقنعة اياه بوجوب الطاعة والامتثال لارادتها ومتى استمرت الأم على هذه المعاملة أصبح ذهن الولد كالشمع طواعية في يدها وامكنها ان تغرس فيهِ المبادئ الصحيحة والصفات الحسنة التي تتوخاها

ولا يستنتج من ذلك ان تضغط على عقله وتقيد افكاره الى حد

ان تنزع استقلاله وتقتل كل مميزاته لانهُ بذلك يشب على ضعف في عقله وذل في نفسهِ وانقياد لرأي غيره بدون استعمال فكره والاحرى ان تعوده الاعتماد على افكاره في تفهم الاشياء بحيث تقوى فيهِ قوة التصور والاستنتاج . وكما تضطرها قيادة ولدها الى ان تكون حاكمة متسلطة على ارادته كذلك توجب عليها ان تكون بمنزلة الصديقة له فتخص جانباً من وقتها لمباسطتهِ وتسليتهِ تارة بارواء القصص المفيدة التي يميل اليها والتي تكسبهُ أدباً وطوراً تحثهُ على الاعمال التي توافق سنهُ وامياله وحيناً بتفهيمهِ أسرار الكائنات وغرائب أفعالها وكذلك سائر الاشياء التي تقع تحت بصره او تستدعي انتباهه للسؤال عنها وبذلك تمكن فيهِ حب الاستطلاع وتجعل فيهِ ميلاً واستعداداً لفهم العلوم الطبيعية وتسهل لديهِ درسها بعدئذٍ في الكتب فضلاً عن انها بذلك تشربهُ محبتها وتجعله يستعذب معاشرتها ويستلذ أحاديثها فوق ما يناله من الثقة بها والاعتقاد بعظيم عنايتها وحنوها بعكس ما لو اقتصرت على تأييد سلطتها عليهِ بالقسوة والعنف والزجر والضرب فانهُ ينفر منها ويطلب الابتعاد عنها ولا يصدق ان يتيسر له الفرار من وجهها والاسراع الى خادماته واصدقائه وتكون نتيجة ذلك تربيته على الخوف وسفالة الاخلاق فالكراهية والبغض لوالديه والمكر والرياء والمخادعة والغدر الى غير ذلك من الصفات التي كثيراً ما تؤدي بالاولاد الى الفتك بوالديهم متى اشتد ساعدهم ووجدوا باباً للتخلص منهم لأن النفس لا تذل الا الى حين ولا تصبر على الضيم الا ريثما تجد واسطة ومقدرة على دفعه

ورب معترضة تقول اننا نحن الشرقيات ليس أحن منا قلباً على الاولاد ولا اكثر منا حرصاً على هنائهم وسرورهم أجل اننا لكذلك ولكن متى وكيف ؟

متى اقترف الولد ذنباً ورام والده تأديبه تظهر الأم حينئذٍ حبها وحنوها بأن تضم الولد بين ذراعيها وتحول دون اتمام قصد أبيهِ وكذلك متى رأتهُ يبكي لجرح طفيف أصابهُ وهو يلعب بسكين كانت قد نهتهُ مراراً عن لمسهِ او متى رأتهُ عائداً من الكتاب حانقاً على معلمهِ لأنهُ عاقبهُ على سوء تصرفهِ وقلة اجتهاده فانها لا تلبث في مثل هذه الأحوال ان تقبله وتلاطفهُ وتسترضيهِ الى ان يذهب ما بهِ من الغيظ والكدر . أفلا يدعى عملها هذا حباً ؟ أجل انهُ لكذلك ولكن يا له من حبٍّ البغض أفضل منهُ فانها كانت تحسن صنعاً لو وبختهُ بصرامة وقسوة وجفتهُ حيناً لتؤكد له انه قد أخطأ وانه يستوجب اكثر مما نالهُ من العقاب . هذا هو الحب الحقيقي الذي يثمر ثماراً جيدة في الولد اما الملاطفة التي تضعها الأم في غير موضعها من ابنها فانها وان كفكفت دموعه في الحال فانها تقضي على آدابه في المستقبل فضلاً عن انها تبعث به على الاستخفاف بأمه والتمرد عليها

ولكي تجمع الأم بين محبة ولدها واحترامه لها يجب ان تسلك أمامه مسلك الأدب والتعقل والصدق فان رامت توبيخه على ذنب أتاه فبالتأني والتؤدة لا بالسخط والصياح والدعاء عليهِ فان ذلك يحط منزلتها في عينهِ ومن الواجب ان تعدل في معاملة اولادها بحيث لا توجد مجالا بينهم

(البقية تأتي)

للتحاسد والتباغض وان لا تحجب عنهم ما يحتاجون اليهِ فتعلمهم بذلك السرقة

ويجدر بالام ان تنبه في ولدها عاطفة الشفقة[1] على المصابين والمعوزين وبذل المعونة لهم والسعي فيما يؤول الى سد حاجتهم مع الامتناع عن تعذيب الانسان والحيوان والعفو عند المقدرة فاذا ما رامت ان تعطي درهماً لفقير فلتكلف ابنها او بنتها ان ينوب عنها بهذا الواجب وهكذا عليها ان تنمي فيه كل ميل صالح وتردعه عن كل أمر قبيح فتربي فيه عادة التلطف والأباء وكبر النفس واستقباح المخادعة والكذب والاستبداد وكل خلة ذميمة تحط بشأن الانسان

ويحسن بالام ايضاً ان تفرض على اولادها صبياناً وبنات ان يقوموا بأشغال منزلية خفيفة كنقل آنية غير قابلة للكسر من غرفة الى اخرى او ترتيب بعض المفروشات الى غير ذلك من الاعمال التي تلائم سنهم فان الولد ميال من طبعه لدوام الحركة فاذا لم يجد عملاً مفيداً يعمله يعمد الى الضار منه كالتخريب والتكسير لان ذلك سهل عليه لا يستوجب معرفة وتعلماً اما اذا تمرن الاولاد على الاعمال المفيدة فانهم يشعرون بسرور وارتياح لاتمامها ولاسيما اذا عينت الام جوائز لاكثرهم اتقاناً للاعمال فانهم يقبلون بنشاط وبذلك يشبون على حب العمل ويجتهدون في ان يكونوا مفيدين لانفسهم ولغيرهم

ترونني قد قصرت اكثر بحثي في التربية على الأم دون الأب وذلك

---

(١) انظر ملحق (١)

ليس لانه خال من المسؤولية في تهذيب اولاده بل بالعكس فان منزلة الاب والام واحدة من الحب للاولاد والاهتمام فيما يؤول لخيرهم وفائدتهم ولكن واجبات الاب المعاشية تقضي عليه بعدم ملازمة الاولاد بعكس الام فانها تلازمهم دائماً وباستطاعتها وحدها تربيتهم اذا كانت حكيمة وفي هذه الحال لا يبقى للاب من واجب سوى ترك الحرية المطلقة لزوجته في تربيتهم واحترامها امامهم لتكون كلمتها مسموعة لديهم وارادتها مطاعة منهم اما اذا كانت جاهلة قوانين التربية فمن واجبات الأب ان يقوم مقامها في ارشادهم وتهذيبهم على قدر ما تسمح له اوقاته وتنبيه الأم الى واجباتها من نحوهم بلطف وفي غياب الاولاد

على انه مهما كان الوالدان عارفين بقوانين التربية فلا بد لهما من الاستعانة بالدين [1] وتفهيم الولد ان فوق سلطتهما سلطة أعلى وأسمى تنفذ الى اعماق القلوب وتدرك من مكنوناتها ما يستطيع اخفاءه عن ابويه وبذلك تتولد الفضائل وتنمو في نفسه ويصبح للتربية سلطة اقوى في تجنب الشرور والمعاصي وتقويم المبادىء المعوجة ومتى اقترنت التربية الصحيحة بالتقوى تغلبت الفضيلة في الولد واصبح قادراً على محاربة الاميال الشريره ودفع سهام الحزن والتعصب واليأس عن فؤاده فضلاً عما يحرزه من تثقيف العقل وتنوير الذهن الذي يعلم بواسطته فائدة الاديان ووجوب احترامها فيخلص بذلك من قيود التعصب التي تهدده في حياته المستقبلة سواء في المدرسة او في العالم

---

(١) انظر ملحق (٢)

المحاضرة الخامسة

المطلب الحادي عشر

في شوائب الاولاد وطريقة عقابهم عليها

ان شوائب البشر وعيوبهم كلها ترجع الى أصلين كبيرين أحدهما حسي ينضاف الى البدن وهو الميل البهيمي والآخر معنوي ينضاف الى الذهن وهو الاثرة فاذا غلب الاول في طبيعة الولد مال الى الكسل والنهم والملاهي والتبذير واذا غلب الثاني ظهر فيهِ الحسد والحقد والفظاظة والكذب والبخل ولكن ما من خلة من هذه الخلال الذميمة الاَّ وبأزائها خصلة حميدة اذا اعتني بانمائها وتربيتها في الصغر لاشت تلك أو عدلتها حتى تجعلها من المناقب الممدوحة مثلاً اذا كان من طبع المرء الاسراف فان التربية القويمة وما تنطوي عليهِ من علم الاقتصاد والتدبير قد تلاشي منهُ تلك الخلة أو تحولها الى بسط اليد لتعضيد المشروعات العلمية والادبية والاعمال الخيرية وذلك بما تبثهُ فيهِ من الآداب الراقية وما تحببه اليهِ من الفضائل والصلاح وكذلك الحسد فانه اذا لم يتلاشَ بفعل التربية فانه يتحول بصاحبهِ الى مباراة غيره في طلب المعالي ومسابقتهم الى سني المراتب فيستفيد بذلك نجاحاً وتقدماً ويكون مثالاً لغيره في بُعد الهمة وخطارة النفس فالأم الحكيمة هي أقدر الناس على تربية جراثيم الصلاح في الولد وذلك انها كلما اطلعت على نقيصة فيهِ تبين لهُ ضررها

وتحمله بالرفق والملاطفة على الاقلاع عنها وملازمة الخصلة التي تضادّها بقدر الاستطاعة

اما وقد اتضحت اسباب الشوائب وطريقة اصلاحها فاقول ان أنجع طرق العقاب واعدلها ما ينشأ طبعاً عن الخطأ الذي ارتكب لان الطبيعة نفسها هي التي تعيّن جنسه ومقداره وهي التي تفرضهُ على المخطئ لتعلّمهُ بالخبرة انهُ ما تعدى احد نواميسها الاَّ عوقب فالطفل الذي يكسر داحته (لعبته) يعاقب من طبعهِ بحرمانهِ منها فاذا تجاوز ذلك الى كسر لعبة اختهِ عمداً ليؤذيها او لمحض التلهي فعلى الأم ان تقتدي بالطبيعة في عقابهِ فتاخذ منهُ بعض ادوات لعبهِ او شيئاً آخر ذا قيمة عنده فتعطيه لاخته وبذلك تعوض عليها ما اتلفهُ لها وتذيقهُ ايضاً مرارة فقدان ما يعزه فيذكر ان عقوبتهُ مسببة عن ذنبه وناشئة عنه لانها مجانسة له وهذا النوع من العقاب يدعى عقاباً طبيعياً وهو افضل من الضرب وخلافه الذي لا يشبه جنس الجرم ولا يكون في الغالب مناسباً له بل يحمل الولد على التظلم لعدم ادراكه في اكثر الاحوال نسبة العقوبة الى خطأه اما لو اقتدت الأم بفعل الطبيعة في معاقبته فانه يدرك تلك النسبة ويقر لنفسه بعدل العقوبة محاذراً من حلولها به ثانية ولزيادة الايضاح نقول للأم انها اذا خاطت لابنتها ثوباً جديداً فدفعها الطيش الى تمزيقه سريعاً او تلطيخه بالاقذار غير محترسة عليه فتوبخها على ذلك وتكلفها ان تنظفه او ترفأه بنفسها ان كان ذلك ممكناً والاَّ فتدعها تلبسه متسخاً وممزقاً ليهزأ بها اترابها وتتعير هي نفسها منه فتعلم بعدئذٍ ان تحرص على ثيابها خوفاً من

ان تتعرض لمثل تلك الاهانة ثانية وذلك افضل من ان تضربها فتوجعها ثم تسرع لخياطة ثوب آخر لها . فان مثل هذا القصاص ليس من جنس الخطيئة ولا هو ناشيء بالطبع عنها فهي قلما تدرك ما بينه وبينها من العلاقة واذا ادركت شيئاً من ذلك فانها تنساه سريعاً ثم تعاود الذنب بخلاف ما لو كان القصاص طبيعياً ناشئاً عن الذنب فانه يذكرها كلما همت باعادة الخطأ فترتدع عنه حتى اذا خاطت لها ثوباً جديداً بعد ذلك وجدتها اكثر احتراساً عليه

وكذلك لو أهدى الأب ساعة لولده أو سكيناً لبري القلم أو دواة جميلة فلم يحتفظ بها بل أضاعها أو كسرها فلا يسرع بأن يعوضهُ غيرها بل يدعهُ يذوق مرارة فقدها مدة ليشعر بأن ذلك قصاص على قلة أعتنائهِ حتى اذا أعطاه غيرها بعد ذلك كان اكثر احتفاظاً بها واذا أضاعها أو كسرها ثانية فيجدد القصاص عينه من الطبيعة ايضاً وبذلك يبقى الوالدون بمعزل عن أن ينسبهم الاولاد الى القساوة او يضمرون لهم الحقد والحنق بل يلبثوا عندهم أصدقاء نصيحين يحذرونهم سوء العواقب لا أعداء بغيضين متحكمين يريدون لهم الأذى

هـذا فيما يصدر عن الولد من الهفوات الصغيرة والخطايا اليسيرة فان تجاوز ذلك الى حد الغلظة او ارتكب ذنباً لا يمكن ان يفرض له عقاب طبيعي من جنسه فعلى الأم ان تغلظ له العقاب بحيث يعلم ان غلاظته هي التي اوجبت له غلظة القصاص كما لو أخذ شيئاً من احد ولم يشكره عليه كما هو الواجب فعلى الأم ان تنبهه الى ذلك فان أبى طاعتها

فينبغي ان تلجئه ولو بالقهر الى ان يقوم بواجب الشكر وكذلك اذا اغلظ بالكلام لاحد او رفع يدهُ عليه فتضطره الى الاستغفار ممن اساء اليه ثم تباعده مدة ليعلم ان فعلتهُ هي التي أوجبت سخط امهُ وامتعاضها فان ارتكب ذنباً أعظم من هذه كالكذب مثلاً فعلى الأم ان تعزره وتوئنبهُ وتحبسهُ في حجرته مدة ما . وان ارتكب خطايا يخشى ان تفضي عواقبها الى هلكتهِ او الاضرار بهِ كما لو حاول القفز من شاهق او لعب بجارحة او تصدى لغير ذلك من الافعال التي عقوبة الطبيعة عليها ذات خطر على حياته فتأمره بالكف عنها مظهرة له سوء العاقبة فان لم يرعوِ تعين عليها ان تكفهُ عنها بالقوة المجبرة

ويحسن بالأم ان تشدد العقوبة على الكذب لأن الكذب شر العيوب وأصل المعاصي ومتى هان على الانسان ارتكاب جريمة الكذب هان عليهِ ارتكاب جميع الموبقات لاعتقاده ان الكذب ينجيهِ منها

والكذب ليس من طبيعة الطفل ولا موجب له لديه بل هو عارض عليهِ من تأثير التربية فمتى اتى الولد ذنباً وأقر عنهُ اولا لدى السؤال فعاقبتهُ امهُ او ضربتهُ من اجل ذلك الذنب فلا ريب انهُ يميل بعد ذلك الى انكار ما يجنيهِ من الذنوب هرباً من العقاب وهكذا يتعود الكذب لانهُ يرى فيهِ منجاة له على حد قول الشاعر

والصدق ان ألقاك تحت العطب لا خير فيهِ فاعتصم بالكذب

والأفضل ان تمتنع الأم عن قصاص الولد لدى اعترافهِ لها بخطيئتهِ وتكتفي بتحذيره من اتيان ذلك الخطأ ثانية مبينة له سوء العاقبة وبذلك

تشجعهُ على الاقرار بالحقيقة دائماً فيشب على الصدق والامانة ويكون طيب القلب مستقيم السير في مستقبله فتسمو منزلتهُ بين الناس وتعظم ثقتهم بهِ فضلاً عما يشعر هو به من راحة الفكر والضمير وما يتمكن بينهُ وبينهم من روابط الاستقامة والود بحيث تعتبر الهيئة الجامعة بذلك اسرة واحدة متصلاً بعضها ببعض بروابط المحبة والاخاء والفضيلة والشرف

المطلب الثاني عشر

في ارهاف الذهن

اذا نظرنا الى الطفل وهو بعد في مهده نجده يحدق النظر في كل غريب يدنو منهُ ويتناول كل ما تقع عليهِ يده فيحمله الى فمهِ ويعض عليهِ وما ذلك الا رغبة منهُ في الاستطلاع والاستفهام وهكذا يشرع في ادراك المدركات وتفهمها بالاختبار والامتحان من تلقاء نفسه وعلى قدر استطاعته ثم متى ترعرع قليلاً يتدرج الى السؤال والاستخبار عن كل ما تقع عليهِ عيناه فاذا قطف زهرة او التقط حصاة او رأى ساعة أسرع الى الى والدته او حاضنتهُ راغباً في معرفة شيء من أمرهـا تارة بالتلميح وتارة بالتصريح بقولهِ ماذا ولماذا وكيف هذا الى غير ذلك من الاسئلة التي لا يكاد يفتر عن طرحها علينا ولا نكاد نحن نفتر عن زجره عنها اعتقاداً بصعوبة تفهيمهِ اياها واذا جاوبناه عليها فكثيراً ما نجعل جوابنا قليل الفائدة او من باب المزاح[1] مع الطفل فالأجدر بالأم ان تهتم باعانة الطبيعة على انماء ذهن الولد وتقويمهُ اهتمام الزارع بالزرع فكما ان الزارع يتعهد زرعه

(١) انظر ملحق (٣)

ويقتلع ما ينبت في خلاله من شوك يخنقهُ وزوان يفسده فكذلك يجب على الأم ان تحرص على تقوية ذهن الولد وارهافهِ ليتهيأ شيئاً فشيئاً لما سيلقى اليهِ من المعارف والعلوم الا ان ذلك يجب ان يكون رويداً رويداً بحسب ترتيب الطبيعة وتبعاً لمجراها لا ابتساراً ولا قسراً لأن كل ما نبتسره او نميهِ قسراً نعرضهُ لفقدان كثير من مزاياه الحسنة الطبيعية ونكون فيهِ كمن يستنبت شجرة في أرض حارة الاقليم فان شدة الحرارة قد تجعلها تثمر سريعاً ولكن ثمرها يكون في الغالب تفهاً لا يستلذ طعمهُ لأنه ينضج في وقت قصير لا يتمكن به من امتصاص الغذاء الكافي من الأرض كما لو استنبت في أرض معتدلة الحرارة طيبة الهواء

وهذا الضرب من التعليم القسري هو عين ما نراه في بلادنا وفي غيرها من البلاد الاخرى ايضاً فانه لا يكاد الولد يبلغ الحول الرابع حتى يرسل الى المدرسة وهناك يبدأ في تعليمهِ اسماء حروف الهجاء ثم القراءة في كتب لا يكاد يفهم اكثر معانيها فيتعب عقله وينتهي به الامر الى الضجر والتذمر من القراءة والعلوم بأسرها هذا فضلاً عما يصاب به الولد ايضاً من ضعف الجسم وتأخر الصحة وقلة النمو

وعليه فلا ينبغي وضع الولد في المدرسة قبل ان يبلغ السنة السابعة على الاقل وفي اثناء هذه المدة يعلم بدون كتاب فيشرح له بطرق سهلة المأخذ الاشياء التي تقع تحت حواسه او تخطر بباله او تستلفت نظره[1] سواء كانت في البيت او في الحديقة او في الخلاء او في البحر او كانت من اعضاء جسمه او ثيابه او من انواع الطير والحيوان او من المعادن

(١) انظر ملحق (٤)

والنباتات وهلمَّ جرا فان ما يتعلمهُ على هذا النمط يكون احب اليهِ واكثر رسوخاً في ذهنهِ اذ يكون هو الذي سعى اليهِ وتنبه فكره له فيتعلمهُ بسرور وارتياح ولا سيما اذا القي اليهِ بطريقة مشوقة لا تزعج ذهنه

وفضلاً عن ذلك فان هذا النوع من التعليم انما يكون بالمباشرة والملابسة والامتحان والاختبار بالنفس وهذا ما يجعل العلم اكثر وضوحاً وأدعى لثقة الولد مما لو تعلمهُ بالكتب فاننا لو وضعنا فليلاً من الماء في طبق معرض للهواء ونور الشمس ثم بعد ساعة نبهنا الولد اليهِ لاستغرب من جفافهِ وحاول ان يفهم أين ذهب الماء فاذا بسطنا له حينئذٍ طريقة التبخر بفعل الشمس والهواء لادرك الحقيقة وسلم بها حالاً بعكس ما لو علمناه طريقة التبخر الطبيعي في الكتاب لان ذاك تيقن بالخبرة الشخصية وهذا في اول الامر تسليم بما يقوله الغير وشتان ما بينهما

ثم ان التعليم بالكتب وما فيها من القواعد العويصة يجري على خلاف سير الطبيعة في نمو عقل الولد فقد سبق لنا القول ان عقل الولد يكون في اول عمره ضعيفاً جداً ثم ينمو ويتقوى بتدرج نشوئه واما التعليم بالكتب فيبتدأ فيهِ بالكليات قبل الجزئيات التي تؤلفها ومعلوم ان من حق البسائط ان تتقدم على المركبات تقدم العلل على معلولاتها والمقدمات على نتائجها فالعلماء لم يتوصلوا الى وضع قواعد العلوم كلها الاَّ بعد استقرائهم المفردات الداخلة في حكمها فارسطوطاليس الفيلسوف العظيم لم يتوصل الى وضع قوانين المنطق الاَّ بعد استقرائهِ طرق الناس في التعليل والبرهان والاستدلال وضرب الاقيسة واستنتاج النتائج . لان

القواعد هي نتيجة استقراء الاحوال المفردة وتلخيص لها ولذا كان من الغلط البين أن نشرع في تعليم الولد قواعد العلوم كعلم النحو مثلاً من قبل ان يعرف شيئاً من الجمل المتنوعة التي يتركب منها الكلام في اصطلاح النحاة بل من قبل ان يعرف معاني الألفاظ المفردة التي تتألف منها تلك الجمل

وفضلاً عن ذلك فان الولد لا يفهم عبارة كتب العلوم لأنها بلغة غير لغته العامية التي لا يعرف بعد سواها ومعلوم ان الفرق عندنا بين اللغة الكتابية واللغة العامية عظيم جداً ولذلك يجهد الولد في حفظ قواعد الكتب ومفرداتها غيباً حتى تصير ذاكرته كمعجم تقيد فيه الألفاظ او كدفتر تجمع فيه خواطر الاخرين وما حصله غيره من الباحثين وكان الأحرى ان يكون هو نفسه الباحث عن الخواطر والمحصل لها

فلا بدع والحالة هذه ان نرى كثيراً من الاولاد اذا خرجوا من المدارس ينسون اكثر القواعد التي تعبوا في تحفظها والتي يذكرونها منها قلما تفيدهم لانهم لم يتشربوها كما ينبغي ولا اختبروا صحتها بأنفسهم ولا انطبقت أحكامها عندهم على معلومات بسيطة تعلموها صغاراً وسبق رسوخها في اذهانهم بحيث اذا انضافت اليها تلك القواعد امتزجت بها وارتبطت ولذا تبقى متقلقلة متزعزعة وكل ما كان متزعزع الاساس لا بد ان يسقط على توالي الأيام

ومن ذلك كله تتضح فائدة تعليم الولد بالتلقين الشفاهي وهو طفل قبل ارساله الى المدرسة

المحاضرة السادسة

التربيـة العلميـة

لقد أتيت بحثي في التربيـة العقلية على كيفية ارهاف ذهن الولد واعداده لتلقي العلوم والآن أبحث في كيفية تعليمهِ

والفرق بين التربية والتعليم هو ان هذا قائم بتلقين الولد شيئاً من المعارف بمقدار ما يتسع له عقله وتلك قائمة بارهاف ذهنهِ شيئاً فشيئاً ليتهيأ ويستعد لقبول تلك المعارف . فالتعليم فرع من التربية لأنهُ مقصور على امداد قريحة الولد بما يلائمها من العلوم أما التربية فتتناول ما فيهِ انماء بدنه وتهذيب اخلاقهِ وتنوير عقله فكل من ربيناه فقد علمناه شيئاً ولكن ليس كل من علمناه شيئاً فقد ربيناه

والتعليم يقسم الى قسمين التعليم البيتي والتعليم المدرسيّ فلنبحث في كل منهما على حدة

المطلب الثالث عشر

تعليم الأطفال في بيوتهم

لا ريب ان الأم أفضل مدرسة اعدتها الطبيعة للولد لأنها ترافقهُ في زمن طفولتهِ وهو الزمن الذي يكون فيهِ عقله اكثر مرونة وقابلية للتأثر بالتعاليم والارشادات

أجل ايتها السيدات ان بيتاً يضم من الأمهات امثال حضراتكنّ

فاضلات متعلمات لهو افضل من المدرسة لأن المدرسة تجمع مئات من الصغار وكلهم على اختلاف مشاربهم وأمزجتهم واميالهم يسلمون لعناية معلم واحد قلما يكون اهلاً لتعليم آحاد منهم فضلاً عن الكثرة وذلك لأسباب سأبسطها فيما بعد . أما الأم الحكيمة العاقلة فباستطاعتها ان تراعي طباع كل ولد من اولادها فتلقنهُ ما يوافق ميله وسنهُ واستعداده

واحسن واسطة لتعليم الأطفال هي التلقين الشفاهي على نحو ما تقدم لي بيانهُ في التربية الأدبية مع زيادة التبسط في شرح الأسرار الطبيعية والعوامل الجوية وسائر المحسوسات التي تقع تحت بصره وتجتذب اهتمامهُ للسؤال عنها

واذا اردنا ان نعلمهُ القراءة فبالطرق الحديثة المصطلح عليها الآن فاذا احكم معرفة صور الحروف نطقاً ورسماً فينتقل بهِ الى الكلمات المركبة من حرفين فثلاثة كأسم الهر والكلب مع صورها ثم يتدرج الى الجمل القصيرة التي تتركب منها هذه الأسماء ثم يتجاوز ذلك الى قصص صغيرة سهلة المأخذ تتلى على الولد في ساعات الفراغ وتفسر لهُ ألفاظها الكتابية بلغة عامية يفهمها وبذلك تترقى لغتهُ شيئاً فشيئاً بحيث يصير قادراً على تفهم اللغة الكتابية متى حان الوقت الذي يتعلم فيهِ بالكتب وفضلاً عن ذلك فانهُ يجد في سماع تلك القصص الصغيرة لذة وفكاهة تنمي فيهِ قوة الملاحظة والتصور وتجعل فيهِ ميلاً للمطالعة فيكتسب بذلك علماً وادباً

فان رأت الأم ان تعلم ابنها شيئاً من اركان علم الحساب البسيط فلتنتهز فرصة اعطائهِ بعض الأثمار او الحبوب فتجعله يعد ما معهُ ويضيف

اليهِ شيئاً ويسقط منهُ شيئاً ليعرف عدد ما يجتمع لهُ منها او مايبقى وبذلك يتوصل تدريجاً الى تعلم علم الحساب

ويحسن بالأم والأب ان يقرآا جهاراً لدى اولادهما فصلاً من كتاب مفيد كل يوم وبذلك يعودانهم النطق على وجه الصحة والمحافظة على مخارج الحروف والأماكن التي يصح النبر فيها والوقوف عندها فاذا ما اصبح لأولادهما إلمام بالقراءة فينيطان بهم هذا الواجب مناوبة وحينئذٍ يحرصان على اصلاح خطأهم والاهتمام بتحسين نطقهم وافادتهم عن مغزى ما يطالعونهُ في المصنفات الجليلة

ومن الخطأ ان نخاطب اطفالنا بألفاظ وكلمات لا وجود لها في اللغة كالده للحمار والدوده للعصفور والننه للحلوى او نلثغ بالحروف ظناً اننا بذلك نسهل عليهم فهمها او اعتقاداً بانهم لا يستطيعون فهم الكلمات الصحيحة والحال ان الطفل يلتقط الألفاظ بالمزاولة وليس بالقوة العقلية فلا فرق عنده بين ان تكون صحيحة او سقيمة بدليل ما نطالعهُ من نظم الأقدمين ونثرهم في حداثتهم وما نشاهده بين الأمم الأوربية الراقية من النطق المعادل بصحتهِ للغة كتبهم وهو الأمر الذي حرمنا منهُ نحن في العصور الأخيرة لما دخل على لغتنا من الحشو والركاكة والاصطلاحات الفاسدة بتقلب احوالنا وامتزاجنا بالأجانب

وقد تقدم لي القول في المحاضرة الماضية بعدم ارسال الأولاد الى المدارس قبل ان يتموا الحول السابع وذلك لأسباب اهمها ان أقسام الجسد تكون في السنين الأولى آخذة بالنمو السريع ولذلك يتحول اليها أكثر

اصول الدم وينصرف معظم قوى الجسد الى الأعمال الغذائية فاذا أُجهد العقل تحوّل قسم من هـذه الأصول عن الأنسجة النامية واستخدم لأتمام وظيفة الدماغ فضعف الجسد وقل نموه هذا فضلاً عن ان اجتماع الأولاد في محل واحد ساعات متوالية في كل يوم واستنشاقهم هواء غير طلق يعرضهم للأمراض والأسقام زيادة عن البالغين لأن سرعة النمو في الصغار ونشاط وظائفهم الحيوية تجعلهم أكثر قابليـة للانفعال والتأثر ولذلك أجمع الأطباء على وجوب راحة العقل في الأطفال لان اكراه ادمغتهم على الأعمال العقلية تورثهـا تهيجاً قد يعقبه متى خمد نقص في تكوينها او تحويل في نشوئها او تشويه قسم من أقسامها وفي ذلك ما لا يخفى من الخطر على العقل والجسم معاً

ولذلك لا ينبغي ارسال الولد الى المدرسة الاّ بعد ان يتم السنة السابعة وحينئذٍ لا يباشر تعليمه بالكتب بل بالتلقين الشفاهي الى ان تنفد الاشياء التي يستطاع تعليمه اياها شفاهاً ومن ثم يبدأ بتعليمه على الوجه الذي سنبينهُ في الفصل القادم

المطلب الرابع عشر

تعليم الاولاد في مدارسهم

ان غاية المدارس هي اولاً تقوية عقول الاولاد واجسادهم لكي تصير قادرة على قضاء الاشغال والقيام بمهمات الحياة ثانياً تهذيب اخلاقهم وتثقيفهم بالعلوم والمعارف والآداب لكي يكونوا اعضاءً نافعين في المجتمع

الانساني . هذه هي الغاية التي يجب ان تنشأ المدارس من اجلها وليس القاء العلوم وتوفير انواع الدروس لان مجرد اكتساب المعارف الكثيرة لا يقوي العقل ولا يزيد ذكاءه ولا يساعده على توخي السبل القويمة والاساليب الحسنة في الاعمال لأنهُ لا يربي فيه القوى اللازمة للتمييز والاستنتاج والحكم والاستدلال وامتلاك الاميال والاعتماد على النفس تلك القوى التي يتوقف عليها النجاح والفلاح في الحياة الدنيا ولكي تقوم المدارس بتربية الاولاد وتثقيف عقولهم ينبغي ان تكون ذات رأس مال يمكّنها دخله من الاستمرار على عملها فلا تتكل على ما تحصله من رواتب الطلبة اذ ان الرواتب لا تقوم بنفقاتها واجور اساتذتها وانما ذلك يقوم على اريحية الموسرين من محبي الخير ومعضدي العلم الذين يجهدون في سبيل نشر رايات المعارف ورفع شأن الوطن بما يبذلونهُ من انواع المساعدة التي توفر للمدارس وسائل النجاح وتمكّنها من تربية تلامذتها وتقوية اجسامهم وتثقيف عقولهم

وقد ادرك الغربيون ذلك فنشطوا لمساعدة المدارس وعملوا على ترقيتها وزيادة انتشارها فبذل الأغنياء اموالهم واستقطر الكتاب اقلامهم واجهد رجال الاحكام عزائمهم في سبيل ناشئتهم وتهذيبهم وقد عنوا باختيار اساتذتهم من العلماء النابغين الذين يعتمد عليهم في تهذيب الأخلاق ويليق ان يكونوا قدوة للطلبة يقتدون بمحاسن صفاتهم ووافر ادبهم ومعارفهم ولا جرم ان من كان من ولايتهِ ان يتعهد نفس الولد فضلاً عن جسمهِ ويهتم بدرسهِ ولعبهِ وتهذيب اخلاقهِ وتقويم سيرته لمن الواجب ان يكون

عظيماً بأدبه عظيماً بعقله وعلمهِ عظيماً بفضله وحسن ارشاداته

قال الاسكندر يوماً انهُ وان كان ابن فيلبس المكدوني جسماً فهو ابن ارسطوطاليس نفساً لأنهُ ان كان فيلبس سبباً لحياته فارسطوطاليس هو الذي علمهُ كيف يعيش مكرماً وما احسن ما قال الشاعر

أقدم استاذي على فضل والدي وان كان لي من والدي الفخر والشرفْ
فذاك مربي الروح والروح جوهرٌ وهذا مربي الجسم والجسم من صدفْ

اما المدارس الشرقية فلا تزال في تأخر وانحطاط ومماليتها في عسر وفاقة فيضطرها ذلك في الغالب الى استخدام رجال غير اكفاء لمهنة التعليم الشريفة ممن يرضون بالراتب الزهيد ولكنهم يكونون بالحقيقة حجر عثرة في سبيل العلم والآداب بل صخرة ضخمة في ساحة التقدم والعمران لأن التلامذة يشبون على خطتهم الخرقاء ويستقون من سم مبادئهم العوجاء فضلاً عن انهم لا يستفيدون من تعاليمهم الفائدة المنشودة من المدارس بل جل ما يحصلونه مفردات علوم تحشى في اذهانهم حشواً كما تحشى الوسادة قشاً فالولد الذي يتربى على هذا النمط يصبح وهو ابن خمس عشرة سنة اعجوبة زمانه ونابغة عصره حفظاً لانواع القواعد العلمية والقصائد الشعرية يتلوها كالحاكي (الفونغراف) فيبتهج قلب والديه ويفتخر به استاذه . ويترقب له الكل مستقبلاً حسناً ولكنه متى نزل الى ميدان الاشغال فقلما ينجح اذ فاتهُ العلم الصحيح الذي يخرّج الذهن وينبه الفهم ويجعل الرجل قادراً على ادراك معاني الحوادث وردها الى اسبابها وتقدير عواقب الاعمال والتمييز بين الفاسد والصحيح من الاقوال

وقلما يكترث الناس عندنا لهـذه الحقيقة وقد ينسبون للعلم اكثر المضار التي تلم بالمتعلمين والحال ان الضرر يتأتى من كيفية التعليم لا من العلم نفسه

والتعليم يقوم على اربعة اركان مهمة وهي (١) واجبات المدارس نحو المعلمين (٢) واجبات المعلمين نحو التلامـذة (٣) واجبات التلامذة نحو المدارس (٤) واجبات الوالدين نحو الاولاد والمعلمين

فواجبات المدارس نحو المعلمين هي ان تختار من الجهابذة افراداً نبغ كل منهم في فن فيخصونهُ بتعليمهِ في مدارسهم مقابل راتب وافر يوازي اتعابه فيقتصر على تلقين ذلك الفرع في ساعات قليلة من النهار وما بقي من يومهِ يتفرغ فيهِ للمطالعة والتروي في الحقائق التي ينبغي ان يبثها في صدور الطلبة والأساليب التي يوافق سبك افكاره فيها فان الأستاذ لا يقوى على الوقوف نهاره بطوله امام تلامذتهِ بين القاء وسماع وحض وارشاد وشرح وبيان لما في ذلك من التعب الذي يضعف صحته وعقله ويقهقر معارفهُ ويبعث بهِ على الملل والضجر من تلك الحياة وفي هذه الحال لا يتمكن من كثرة الشرح مع طول الاناة والنظر في مصلحة الطلبة على ما يقضي بهِ الواجب

ولا يكفي ان يكون المعلم ممن نبغوا في العلم واشتهروا بالفضل بل يجب ايضاً ان يكون متضلعاً بمهنة التعليم قديراً على ايضاح افكاره باسلوب يسهل فهمهُ على الطلبة

قال الدكتور شبلي شميل في مجموعتهِ (ينبغي ان يكون المعلمون

من الذين تربوا جيداً وبرعوا في علم الاخلاق حتى يدرسوا طبائع كل تلميذ ويعاملوه بحسب طبيعتهِ وينبغي ان يكونوا ايضاً من النبهاء ليلاحظوا ميل كل تلميذ وقابلية عقله ليردعوه عن الفاسد وينشطوه في الاستعداد الحسن . فان عقولاً كثيرة من اذكى العقول ينطفئ نورها كل سنة في المدارس من سوء المعاملة ومقاومة اميال العقل)

وواجبات المعلمين نحو التلامذة هي ان يقدروا القوة العقلية والجسدية لكل ولد فيعينوا له من الدروس ما يناسب حالة عقله وجسده ودرجة نموهما وان يفرغوا الجهد في حض الكسلان على الدرس والاجتهاد باتخاذ الوسائط الناجعة لذلك وان لا يجعلوا تفاوتاً بين التلامذة في المعاملة بل ينظروا اليهم بعين المساواة والتودد وان يكونوا لهم مثلاً في المحافظة على الآداب والصدق واللطف والحزم والمحافظة على الوقت

أما واجبات التلامذة نحو المدارس فمحصورة بطاعتهم لمعلميهم واحترامهم لقوانين المدرسة واجتهادهم في دروسهم واصغائهم لتعاليم أساتذتهم وارشاداتهم مع المواظبة على الرياضة الجسدية والعقلية

بقي واجبات الوالدين نحو المدارس فهذه تقوم باطلاع المعلم على اخلاق اولادهم وسجاياهم ومعايبهم تسهيلاً لما يتجشمهُ في تهذيب اخلاقهم وتثقيف عقولهم لأنهم لما كانوا أعلم الناس بما يلائم اولادهم واكثرهم معرفة بحقيقة اخلاقهم وماهية استعدادهم كانوا اجدر بمعاونة المعلم على تربية اولادهم تربية حسنة وعليهِ يجب ان يلاحظوهم بدقة واهتمام ويتبعوا خطواتهم حتى يتمكنوا بمعاونة المعلم من اصلاح حالهم وارشادهم الى السبيل السوي

بقي من الواجبات ما هو مشترك بين المدارس والوالدين وهي الاهتمام بنظافة الاولاد وتعويدهم العناية بملابسهم وتقليم أظافرهم وتحذيرهم من نقل الدراهم لما تحمله من الأقذار والجراثيم المرضية القتالة وحملهم على الاقلاع عن عادة لحس الأصابع التي كثيراً ما يعمد اليها الأولاد عند تقليب صفحات الكتب وكذلك لحس الأقلام الرصاصية وقت الكتابة ولحس الحبر عن الورق كلما راموا ازالة كلمة سطروها خطأ لما في هذه العادات من الأمور المنافية للذوق والأدب فضلاً عن الاضرار بالصحة

واختم محاضرتي هذه بايراد ملاحظة جديرة باهتمام الوالدين والمعلمين وهي اننا نستعجل الولد بالنمو العقلي فاذا انسنا منهُ مقدرة على حساب الارقام مثلاً فنأخذ بالقاء الاسئلة عليهِ ودفعهُ الى حل المشكلات منها ونبتهج كثيراً اذا رأيناه وهو ابن ثماني سنوات ملماً بجداول فيثاغوروس والحال ان الولد الذي يسرع نضج ذهنه قبل ابانهِ فانهُ يفرغ ما في وطابهِ وهو حدثٌ ثم يقف كالولد الذي تشب قامته قبل الوقت وكثيراً ما يموت مختضراً وان عاش عاش سقيماً وعلى الجملة فلا نترقب ان يكون الولد اليافع كالكهل قوة وعقلاً كما اننا لا نرجو ان يبلغ حد الكمال المطلق احدٌ من الناس فان الكمال لله وحده

المحاضرة السابعة

المطلب الخامس عشر

في تربية الولد باعتبار الصناعة

من المعلوم ان الناس منقسمون باعتبار مركزهم وثروتهم الى طبقات يختلف كل منها عن الاخرى منزلة واستعداداً . وعليهِ ينبغي ان تكون التربية العلمية على انواع يلائم كل منها احدى تلك الطبقات فمن كان من أهل الطبقة العالية يجب ان يلقن العلوم الكمالية التي ترشحهُ لما قد يتولاه يوماً من الاعمال العظيمة كالقضاء والسفارة والرئاسة وغير ذلك من الامور المهمة

ومن كان من الطبقة المتوسطة وبدا فيهِ استعداد وميل للفنون الجميلة او الطب او المحاماة او التجارة فمن الواجب ان يُعنى بتلقينه العلوم التي تساعده على اتقان تلك الحرف بالممارسة

أما من كان من طبقة العوام فالافضل ان يربى تربية عامية تؤهله لأن يكون عاملاً بيده لكسب معاشه وذلك ان يتعلم اصول الحرفة التي يميل اليها علماً عقلياً متقناً يساعده بعد ذلك على ممارستها عملاً ويكون ثمَّة في وسعه ان يوفيها حقها من الاحكام والاتقان ولما كانت الاعمال على انواعها لا تحصل بالعلم وحده فمن الضروري ان يصحب التعليم العقلي شيء من التعليم العملي وهو ما نرى مدارسنا ساعية اليهِ في هذه الايام

ومن واجبات الوالدين اولاً والمعلمين ثانياً ان يراعوا ميل الولد واستعداده للصناعة التي يحملونه على تعلمها وذلك ان يراقبوه منذ الصغر ليروا اي عمل يميل اليهِ بالطبع وأي شيءٍ هو اكثر استيقافاً لفكره واستلفاتاً لنظره واي علم يكون أبرع فيهِ واكثر ارتياحاً لتحصيله فيتخذوا من ذلك دليلاً على ميله الخاص اليهِ واستعداده الغريزي له ومتى توفقوا الى ذلك وجب ان يبذروا بذوره في تربة عقله ويحولوا افكاره الى وجوب اتقانه ودرس العلوم التي تساعده على زيادة الانتفاع بهِ والاثراء بواسطته فانهُ من الخطأ ان يحمل الولد على معاطاة صناعة او تعلم فن لا يلائم ميله وحالتهُ وليس في سجيته استعداد له اذ انهُ لا يمكن ان يبرع بهِ او ينجح بواسطته كما لو تبينا في عقل الولد وهناً او عدم ميل لعلم الرياضيات فلا يعقل ان يكون يوماً مهندساً بارعاً او رياضياً مشهوراً وكذلك اذا كان ابن أبوين فقيرين فانهُ من العبث ان يتعلم فن التجارة لما يستلزم ذلك من المال وهكذا اذا كان فيهِ بعض العاهات كضعف البصر فلا يجوز ان يتعلم فن الصياغة مثلاً بل من الواجب في كل حال ان تراعى حالة الولد وقابليته للعلم فيتلقن منهُ ما كان ملائماً لحالته الطبيعية لازماً لحياته العملية

أما في الشرق فان المدارس كانت لعهدٍ قريب متشابهة في انواع علومها مقصرة في جميعها عن حاجة الأهلين ولم يكن الوالدون يبالون في أمر مستقبل بنيهم بل كان ولا يزال العاقل منهم من يهتم بتعليم ولده الى أن ينال الشهادة ومن ثم يقف متنفساً نفس الراحة كأنما واجباته الوالدية قد انتهت عند هذا الحد من الاهتمام وقد فاته ان العلم وحده لا يضمن

نجاح مستقبل الولد بل كثيراً ما يكون سبب شقائه وفقره وذلك لانه يبعث به على الخيلاء والتمسك بأذيال المجد والعلاء بحيث يأنف من الأعمال الصغيرة بينما ان ضيق ذات يده أو صروف حوادث دهره تحول بينه وبين بلوغ ما يتمنى من الأعمال العظيمة التي تناسب مقامه العلمي فاذا لم يقيض لهُ الحظ خدمة في الحكومة او يسخر له من يمده بالمال لانشاء مصرف او ما شابه من الأعمال ظل حياته بطولها بين عراك وجهاد الى أن تنفذ عزيمة شبابه رويداً رويداً فيعود قانعاً من دخله بما هو دون الكفاف

ومن ذلك يتضح ان العلوم لا يوافق أن تكون واحدة لكل من افراد الناس فانه كما لا يحسن أن يكون جميع الناس نجارين او بنائين أو حدادين كذلك لا يناسب ان يكون الجميع أصحاب بكلوريا بل الأفضل ان يتحول كل منهم الى وجهة عملية صناعية كانت او زراعية وقد تنبهت حكومتنا الساهرة الى هذا الأمر فنشطت في السنوات الاخيرة لاصلاح حالة التعليم والعناية بتربية العوام تربية علمية عملية توافق حالتهم وساعدها في ذلك رجل الفضل والنبل دولة الأمير حسين كامل باشا فانشأ بهمته وسعيه مدرسة صناعية في دمنهور وكذلك دولة الأمير يوسف كمال باشا المشهور بفضله واحسانه فانه لبى داعي الوطنية الصادقة وانشأ من ماله مدرسة الفنون الجميلة في مصر وأملنا ان يحذو حذوها جميع اعيان الأمة ويرفعوا شأن المدارس الى الحد الكافل لنجاح اولادها على اختلاف طبقاتهم وبذلك تصلح احوالنا ويشب كلٌّ من اولادنا على علم تام من

أمر مستقبله واستعدادٍ لعملٍ موافق لذوقه ومقدرته بحيث لا يخطر لهُ يوماً أن يعود عنه او يأنف من معاطاته بل يتحول اليه بكل قواه ويبذل جهده في اتقانه والتفوق بعمله كما هي الحال في البلدان الراقية

وقد تقدم لنـا القول ان الاهتمام بمستقبل الولد ومعرفة نوع العمل الملائم له لا يتمان الاَّ بعد اختبار ميله واستعداده ولما كانت الأم أقرب الناس الى الولد واكثرهم ملازمة له فهي ولا شك أقدر على معرفة حاله ودرس اخلاقه ولا سيما بما اوتيتهُ من قوة الفراسة ورقة الشعور فضلاً عن رابطة الالفة والعشرة التي تمزج روحها بروح ولدها بما يجعلها اكثر اختباراً باسرار امياله واشد تأثيراً على افكاره وعلى ذلك فيكون من اهم واجباتها ان تشارك الرجل في امر مستقبل ولدهما وتتحد معهُ بتربيته وبذلك تضمن له النجاح والفلاح

المطلب السادس عشر

في تربية الفتاة العلمية

تقدم لي القول في التربية العلمية في المحاضرة الماضية ان تعليم الصبيان يجب ان يختلف باختلاف طبقات الناس ودرجة استعدادهم وماهية الوجهة التي يقصدونها في تحصيل رزقهم وذلك اقتصاداً للوقت وسعياً لاتقان العمل او الحرفة التي يرومون تعلمها فالطبيب مثلاً لا تهمهُ اصول فن التجارة واذا علمناه الحساب وعلم مسك الدفاتر فانما نكون قد اضعنا وقتهُ عبثاً وصرفنا قوة عقله عن اتقان علم الطب الذي يحتاج اليهِ

وكذلك الخياط لا يفيده ان يتعلم كيفية تركيب الادوية وماهية العقاقير التي تتألف منهـا بل ذلك من شأن الصيدلي وهكذا سائر الاعمال فان كلاً منها قائم بنفسهِ لا يضطر الرجل الى اشراك اعمال اخرى بهِ

أما المرأة فحالتها غير حالة الرجل وهي واحدة فيها سواء الزوجة او الوالدة وواجباتها لا تتغير في حالتي الفقر والغنى بل هي دائماً ابداً في حاجة الى تربية اولادها والسهر على راحة رجلها وتمريضه والحرص على امواله وخدمة أسرتها وخياطة ملابسها الى غير ذلك من الأعمـال النسائية العظيمة الأهميـة فضلاً عما تصادفهُ في حياتها من اخطار اليتم والترمل والثكل والضيق والفاقة وما تقع فيهِ من مشاكل الوراثة والوصاية والبيع والشراء الأمور التي كثيراً ما ينجم عنها ذهاب اموالها وضياع حقوقها متى كانت جاهلة

وعلى ذلك نرى من الواجب ان تتعلم علماً صحيحاً يمكنها من القيام بهذه الواجبات وهو الأمر الذي لا تزال مدارسنا مقصرة فيهِ حتى الآن فان جملة مدارس الفتيات عندنا لا تتجاوز في تعليمها حد المبادئ البسيطة وهذه لا تفيد وحدها في تهذيب الفتاة وتعليمهـا وانما يصح ان تكون اساساً لما يأتي بعدها من العلوم فاذا لم يأتِ بعدها علم طمت رمال الأيام على ذلك الأساس فمحت آثاره وذهبت بالفائدة التي تعود على الفتاة بل قد يكون منهُ بعض الضرر بأن يبعث بالفتاة على الغرور والاعتداد بالنفس واحتقار ذويها

واول شيء يجب الالتفات اليهِ في تعليم فتياتنا هو اللغة العربية فانها

ضرورية لفهم ما يطالعنهُ من كتبها واخبار اهلها وآداب كتّابها على ان لا يقتصر في تعليمها على المبادئ البسيطة كما هي الحال الآن فان ذلك يجعل حافظتهنّ عبارة عن وعاءٍ مشحون بقواعد لغوية وألفاظ ومترادفات لا تجديهنّ فائدة تذكر في مستقبل حياتهنّ الاّ على قدر ما تفيدهنّ قواعد الصرف والنحو في تربية اطفالهنّ بل يجب ان يعرفنَ آداب اللغة ويتعلمنَ تاريخ التمدن وعادات الامم الراقية في المدنية ويتمرنّ على الانشاء فيطرقنَ المواضيع ويصورنَ الافكار بحيث تنمو فيهنّ قوة الملاحظة وينغرس فيهنّ الميل الى المطالعة وادراك افكار العلماء وآراءهم فيستفدنَ منها خبرة ورشاداً ويصبحنَ بذلك موضع احترام الرجل فلا يعود من ثمّ ينظر اليهنّ نظره الى تمثالٍ مزين وُجد لتسليتهِ او طفل لا تتعدى قوة ادراكه حدود التبرج والازياء بل يصبح حديثهنّ شهياً في المجالس ومجموعة حكم وفوائد في البيوت يرضعها الاطفال مع اللبن ولا يخفى على العاقل ما في ذلك من تعظيم الاولاد لوالداتهم وانقيادهم لارادتهنّ واحكامهنّ

ثم يجب ان يتعلمنَ الجغرافيا والحساب والرياضيات والطبيعيات والكيميا والتاريخ الطبيعي بشرط ان لا ينسج في هذه العلوم على منوالٍ يشحن بهِ اذهان الفتيات بحدودٍ ورموز والغازٍ واسماءٍ عويصة لا تلبث ان تزول من حافظتهنّ بمزايلة المدرسة ويذهب الوقت والتعب في تحصيلها ضياعاً بل يجب ان تتخذ هذه العلوم كذريعة لتربية العقل وتنوير الذهن ومساعدة الفكر على الانطلاق بين هضبات الطبيعة واستنشاق نسيم

اسرارها ومرافقة أهل العلم على اجنحة البخار والهواء وتحت الارض وفي عرض الاوقيانوس ونقطة القطب لمعرفة اكتشافاتهم واختراعاتهم العلمية والصناعية والطبية فيتلذذون باستطلاع نتيجة مساعيهم وتوقع فوائدها ويطربنَ من مطالعة المقالات الجميلة والقصائد الرنانة ويصرنَ قادرات على ادراك علل المحسوسات وكيفية نظامها وتكوينها واندثارها والعلم باسرار البخار والكهربائية وما يصنع بواسطتهما من الآلات العجيبة بحيث اذا وقفت سيدة امام آلة التلفون او سمعت بالتلغراف اللاسلكي تكون على علم بكيفية مقدرتهما على نقل الاصوات واشارات المخاطبة

وينبغي ان يحطنَ علماً بالقانون الى حد يجعلهنَّ يعرفنَ قانون المعاملة والوصية والبيع والشراء لا ان يصرنَ متشرعاتٍ وكذلك ليس من الضروري ان يتعدى في تعليم المعاني والبيان حد النصوص القليلة التي تجعل البنات يفهمنَ ما يقرأنَ ويدركنَ وجه الحسن منهُ ولا بأس من اضافة علم العروض والقوافي الى ما ذكرنا بحيث يميزنَ بين الاوزان ويدركنَ صحيح المعاني من فاسدها

وأفضل طرق التعليم ما القي بشكل محادثات بسيطة تشترك فيها التلميذات بالاستفهام والاستنتاج فيكون لهنَّ من وراء ذلك فائدة ولذة تساعد على رسوخ العلم في أذهانهنَّ وتميط النقاب عن أسرار المشاهد الطبيعية التي تقع تحت ابصارهنّ

ويجب ايضاً ان يتعلمنَ مبادئ علم الصحة وفن الاقتصاد المنزلي اللذين عليهما تتوقف سلامة الاسرة صحيا ومادياً وهذان العلمان لا أثر

لهما في مدارسنا مع انهما اكثر ضرورة للبنات من سائر ما يقتبسنهُ من العلوم لأن عليهنَّ تتوقف راحة الازواج والمحافظة على ثروتهم وبهنَّ تناط تربية الاولاد ولعنايتهنَّ توكل صحة أجسادهم فجدير بهؤلاء اللواتي سيقضينَ الحياة زوجات وامهات ان يكون تعليمهنَّ موافقاً لتلك الحياة معيناً لتحمل الاتعاب ومساعداً لتدارك الاخطار والامراض التي يتعرض اليها افراد المجتمع

ربما تدهشنَ لأقوالي ايتها السيدات الفاضلات او تستكثرنَ انواع العلوم التي أشير بصلاحية تعليمها للفتيات ويخيل لكنّ اني أقصد بذلك ان تصير بناتنا في مصاف الفلاسفة والعلماء وان يقضينَ مدة الشباب ضمن جدران المدارس كلاَّ فما هذا الذي اقصده وانما أقول بوجوب الماهنَّ بالعلوم المذكورة الى الحد الذي تحتاج اليهِ المرأة في معاملة رجلها وتدبير منزلها والاعتناء باولادها فما ارتقت امة الا وكان أساس رقيها تعليم النساء . ولا غروفان عليهنَّ تتوقف سعادة الامة وعلى تعليمهنَّ مدار ارتقاء الافراد اذ تنبث روح آدابهنَّ وتعاليمهنّ في الشعب فتدفعهُ في مدارج الارتقاء والنجاح وتسير بهِ الى مراقي الكمال والفلاح واما اذا اهمل تعليمهنَّ فتنعكس الآية ويصبح وجودهنَّ مدعاة للتقهقر والانحطاط ومهداً للخمول والهوان

وحريٌّ ان تكون كتبهنَّ مزدانة برسوم مشاهير الرجال وتراجم شهيرات النساء وصور المتاحف والآثار الشهيرة التي تجعلهنَّ يقدّرنَ منزلة أهل العلم ويدركنَ اهمية الأشياء التي حولهنَّ فيبثثنها في صدور اولادهنَّ وبذلك يربينَ فيهم الذوق الحسن والمقدرة على معرفة قيمة

الأشياء الجميلة الأمر الذي نحن في حاجة كبرى اليهِ وقليلات منا اللواتي يُعْنَيْن في تربيـة الذوق في اولادهنَّ ولذلك نرى الرجل يقف في أعظم المتاحف وينظر الى أهم النقوش المتقنة ويسرح بصره في ألطف المشاهد الطبيعية دون ان يستوقف فكره او يجتذب اهتمامه شيءٌ منها بل هوذا دار العاديات على مقربة منا ومع ذلك قليل الذين يعنون بزيارتها في حين ان الغربي يبتاع الصورة النادرة بألوف من الدنانير ويطوف البلدان ويقطع البحار ويجوب القفار لمشاهدة المتاحف والآثار والوقوف على سرائر العلم والتاريخ واذا رأى في طريقهِ زهرة نابتة على حافة الطريق وقف وأحدق فيها معجباً بدقة اوراقها ولطف تركيبها ورواء لونها واذا مرَّ بتمثال لأحد مشاهير أهل العلم والسياسة والفضل وقف متهيباً وقلبه يضرب احتراماً واجلالاً

وعلاوة على ما ذكر من أنواع العلوم التي ينبغي تعليمها للفتيات علم الموسيقى والفنون الجميلة فانهما من أفضل الوسائل التي تمرّن العين والأذن على تميز الألحان والأشكال ومعرفة الحسن فيها من الفاسد فضلاً عن انها تساعد على تفريج الكروب وطرد الآلام والأحزان فجدير بالفتـاة ان تتعلمهما فتجد فيهما خير مؤنس في وحدتها وأجمل عمل تتلهى به في ساعات الفراغ بل هي اذا اتقنت تعلمهما كانا لها سياجاً يصونهـا من ذل الفاقة ويسهل لها سبل الكسب اذا عضها القدر بنابه ولذلك يجدر بالمدارس ان تعني بتعليم البنات هذين العلمين الجليلين فضلاً عن عنايتهـا بتعليمهنَّ الخياطة والتفصيل والتطريز والتصوير والرسم والحفر والتنزيل وغير ذلك

من الأعمال التي تساعد السيدة الموسرة على تمضية الوقت بالأمور النافعة وتكسب الفقيرة ارباحاً مادية وبذلك تصبح المرأة مخلوقاً مستقلاً ذات حزم ومعرفة تحفظان منزلتها في المجتمع الانساني وتمكنانها من الثبات لدى هجمات النوائب وتقلبات الحوادث . اه

المحاضرة الثامنة

المطلب السابع عشر

﴿ في تربية الفتاة باعتبار تدبير المنزل ﴾

جاء في مؤلف للسيدة بيتون الانكليزية في تدبير المنزل هذه العبارة « ان ربة البيت تشبه قائد الجيش فان روحها منبثة في جميع اطراف المنزل ومنظورة من الخدم فاذا أتمت واجباتها باتقان واحتفظت بالآداب العالية والسهر والانتباه تكون قدوة لخدمها فيحذون حذوها ويجتهدون في اتمام واجباتهم »

أجل ان سيدة المنزل مكلفة بأعمال وواجبات لا مندوحة لها عن القيام بها سواء كانت فقيرة أو غنية فعلينا ان نعلم فتياتنا تلك الواجبات منذ الصغر حتى لا يقصرنَ فيها في الكبر وعلينا ان نعودهنَّ عيشة البساطة والنظافة وان لا ندعهنَّ يؤجلنَ الى الغد ما يستطعنَ أن يفعلنهُ اليوم فان كل يوم يأتي فيهِ عمله فاذا أضفنَ أعمال اليوم الى أعمال الغد نتج عن ذلك مضاعفة الأعمال وزيادة التقصير فيها وأحسن واسطة تمكن الفتاة

من الأعمال الكثيرة هي تقسيم الاوقات وتنويع الأشغال وبذلك تجد لكل عمل وقتاً وتتجدد فيها القوة لمتابعة الأعمال بمجرد التنقل فيها من شكل الى آخر

يجب ان نربي بناتنا على حب العمل ونغرس في اذهانهنَّ وجوب القيام بالأشغال المنزلية والصناعات اليدوية

يجب ان ندربهنَّ على تمريض المرضى وتربية الاطفال ودفع الاسقام عنهم فان من الخطأ ما كانت تعتقده الامهات قديماً من أن التحدث بتربية الاطفال معيبٌ لدى الفتيات كما انهُ من الخطل ان تعتقد الفتيات ان الطبخ غير لازم الاَّ للفقراء منهنَّ فانهُ مهما توفرت اسباب الغنى للفتاة وكثرت لديها الخدم فلابد لها من معرفة فن الطبخ حتى تتمكن من معرفة موضع الخلل في صنع الطعام وتنبيه الطهاة الى اصلاحهِ والاَّ اضطرت لان تكون اسيرةً بذوقها للخدم خاضعة لأميالهم فيما تكره

فعلى الامهات ان يوجهنَ جل عنايتهنَّ الى تدريب بناتهنَّ على الطبخ وسائر الاشغال المنزلية والواجبات البيتية وبذلك يؤهلنَ لان يكنَّ ربات أسر ومديرات بيوت

اما التي تترفع عن الاعمال انفةً منها او كسلاً فانها تكون عالة على زوجها بل حملاً ثقيلاً يضايقهُ فوق ما يتحمله من مسؤولية الاسرة واعالتها وضمانة مستقبلها اذ يضطر لان ينفق على الخدام والمراضع والمربيات والطهاة والخياطات ما يكفل حفظ نظام المنزل كأنما هو خلق ليقوم بواجبات الرجل والمرأة معاً وفي ذلك ما فيهِ من الحيف ومخالفة الاحكام

العقلية والطبيعية فضلاً عن ان الخدم مهما كثر عددهم فهم لا يقومون مقام ربة البيت من حيث النظام والترتيب والاقتصاد

كان لاحد سراة الشرقيين ابنة يحبها ويبالغ في رفاهيتها ولم يكن يسمح لها في دخول المطبخ على الاطلاق فكانت نتيجة ذلك انها ذاقت مع زوجها بعدئذٍ انواع العذاب والتعب لجهلها فن تدبير المنزل وعلى الخصوص صناعة الطبخ فكان زوجها كلما اراد اصلاح خطأ الطاهي يذهب الى اصدقائهِ فيستفهم من نسائهم عن افضل الطرق لذلك ثم يعود وهو يعض شفاههُ حسرةً وألماً مما يجده في نظام البيت من الخلل وما يتحمله مرغماً من ملاحظة الخدم وضبط حساب النفقات على ان الحال لم تطل بهِ كثيراً على هذا المنوال لانهُ بعد سنوات مضت اصيب بالافلاس فكان ذلك عقاباً لتلك الزوجة وعبرة لسواها من النساء

ولو ان المرأة تستفيد من هذه الرفاهية التي يضحي الرجل حياته في سبيلها ويعرض ماله للضياع من اجلها لهان الأمر ولكنها تضر بجسدها وعقلها فتضعفهما وتسقمهما وتحط من قدرها في اعين افراد اسرتها اذ تكون بمنزلة صفر عن يسار عددهم

ومما يحسن ان تتمرَّن الفتاة عليهِ وضع الشيء في محله فان كثيراً من الآنية الثمينة والرياش الجميلة ودواعي الزينة قد تقل قيمتها وتنبو العين عنها لمجرد وضعها في غير المحل المناسب لها . وأهمّ ما يجب اتباعهُ في تدبير المنزل هو الاقتصاد قال احد أدباء الانكليز — ان المال لا يجلب السعادة للانسان ولكن السعادة لا تأتي بدونه فعليك بالاقتصاد

أجل يا سيداتي ان المال لازم للانسان بل هو أهم ركن من اركان حياته اذ يتمكن بواسطتهِ من نيل أهم رغائبهِ ولا سيما في عصرنا الحاضر الذي زادت فيهِ النفقات الى حد لا بد منهُ في شرع التمدن وما يتبعهُ من دواعي الزينة والرفاهة والبذخ والاسراف وافضل وسيلة لاحراز المال هي الاقتصاد واسهل واسطة للاقتصاد هي ان يستغني المرء عن اشياء كثيرة

شوهد يوماً شيخٌ حكيم يسير في سوق حافلة بالحلي الثمينة والتحف النادرة وهو ينقل نظره من حانوت الى آخر . فسأله احد اصدقائه عما اذا كان يرغب في شيء منها اجابه باسماً — انني أنظر لأرى كم يوجد من امتعة واشياء لا أحتاج اليها

ولا غرو ان في عبارة هذا الحكيم لعبرةً يتبين لنا منها ان كثيراً من الامور التي نبذل المال في سبيل احرازها يمكننا الاستغناء عنها مثل انواع الزينة والملابس والانفاق على المآدب والرسميات وغير ذلك من الأمور التي لا يضر اجتنابها بل قد يكون منهُ فوائد ادبية فضلاً عن الفوائد المادية على انهُ يوجد بين النساء من اذا تولت أمر النفقة تجهد في التقتير على اسرتها فتمنع عنهم ما هو لازم لحياتهم وصحة اجسادهم فتضرُّ بهم من حيث تقصد توفير بعض دريهمات قد تضطرّ لأن تنفقها يوماً للاطباء والصيادلة ومن ذلك يتضح ما على السيدة من دقة الملاحظات ومراعاة الواجب في كيفية الاقتصاد

وقد تظن بعض النساء ان اتباع خطة الرجل بالاسراف من جملة الضروريات او من موجبات الانتقام وقد يعتذرنَ احياناً بقولهنَّ : لمَ

لا ننفق على انفسنا ونعيش في سعة ما دام المال ذاهباً من ايدي رجالنا في كل حال

أجل ان لهنَّ بعض الحق في ذلك ولا سيما اذا كان رجالهنَّ ممن يتولون أمر الانفاق ولا يدعون لنسائهم سبيلاً لتدبير المعيشة بما يمكن معهُ التوفير . فأفضل ما تداوى بهِ مثل هـذه الحال هو ان تقنع المرأة زوجها بأي الوسائل الممكنة ان يجعل لها راتباً شهرياً وحينئذٍ تتمكن من تدبير معيشتها بشكل يضمن راحتها ويحفظ لها من فضلات المال درعاً يقيها شر العوز والفاقة

وأفضل وسيلة لاقناعهِ بذلك هي ان تحافظ المرأة على الدراهم التي تصل الى يدها وتتدبر في أمر انفاقها بحكمة بحيث تجعل في زوجها ثقة بحسن تدبيرها واقتصادها ومن ثم لا يبخل عليها بالمال ولا يتأخر عن تسليمها راتباً كافياً تنفقهُ بحكمتها على البيت والاسرة

والاقتصاد واجب مقدس على ربة البيت يدعوها مركزها الطبيعي للقيام بهِ فأول ما يجب أن توجه اهتمامها اليهِ هو ان تجعل معيشتها في درجة معادلة لحالة زوجها المادية فلا تجهد نفسها عبثاً بمجاراة من هنَّ اوفر منها غنىً واكثر بذخاً لكي لا تضطر بسبب ذلك الى التقتير على آل منزلها فان الظهور بمظهر موافق لحالتها المادية مع النظافة والآداب لأفضل كثيراً من التلبس بالجاه الكاذب الذي يعود على صاحبتهِ بالتعب الكثير والخراب العاجل

على اننا لو تبصرنا قليلاً لرأينا في الاعتدال جمالاً لا يقاس بالجمال

الظاهري مهما بولغ في اتقان الزينة ولبس الحلي والحلل فاذا ما رأت السيدة ابتسامة الارتياح والشكر مرسومة على شفاه زوجها وادركت مالها عنده من المنزلة السامية والثقة التامة تشعر بانها حاصلة على سعادة لا يمكنها أن تنالها من البذخ والزينة مهما اكثرت منهما . ومتى ادركت السيدة هذه الحقيقة فقد اجتازت مرحلة كبيرة نحو الاقتصاد المنزلي وسهلت لبنيها وسائل الصحة والعلم والرفاهية مع حفظ نظام المعيشة وتوطيد الثقة الزوجية وذلك بتضحية قليل من رغائب النفس التي لا فائدة منها

وهناك أمر آخر واجب على السيدة اتمامه وهو ان تعمل بنفسها ما يمكنها ان تستغني به عن مساعدة الغير ولا يكفي ان تشتغل فقط لمجرد التسلية بل يجب ان تفضل من الأشغال ما يخفض من اعباء النفقات فلا تشتغل مثلاً بتطريز مخدة وتستأجر الخياطة لعمل قميص ابنها ولكن اذا أتمت الأشغال اللازمة لأسرتها فلا بأس من ان تلهو بما يحلو لها من الفنون الجميلة والأعمال الآيلة الى ترتيب المنزل وتزيينه فان هذه من الكماليات التي على حسنها ولزوم وجودها في المنزل ليست الاَّ ثانوية بالنسبة للضروريات

والآن تسمحنَ لي أيتها السيدات ان ادخل وايا كنَّ الى المطبخ فنبحث فيما يتعلق بهِ بوجه الاختصار وعلى قدر ما يسمح لي المقام لأن المطبخ على ما يبدو لنا من صغره وحقارة منظره يستغرق من البحث ما لا تكفيهِ محاضرة او محاضرات بل هو مما يستغرق المجلدات

قال بسمارك : اني لا استحسن السيدة في حال مثلها وهي في المطبخ ومعلوم ان ذلك الرجل العظيم لم يقصد بقوله انه يرتاح لمشاهدة السيدة وهي تغسل الطباق والحلل بل ان يراها عاملة على ملاحظة مطبخها ومعاينة كلما يصنع فيهِ من الطعام وسواء كانت هي التي تشتغل بيديها او لديها الخدم والحشم فلا بدَّ لها من مراقبة جميع معداته واحصاء نفقاتهِ والتمييز في المواد التي يبتاعها الطهاة ومعرفة أثمانها ووزنها

كانت احدى السيدات الموسرات تشكو دائماً من كثرة النفقات في منزلها مع عدم وجود الراحة التامة في نظامهِ فسمعها يوماً احد اصدقائها وهو من الرجال الحكماء فوعدها بان يجد لها وسيلة فعالة لمداواة تلك الحال . وعليهِ احضر لها علبة صغيرة من خشب الأبنوس لطيفة الصنع خفيفة الوزن وقال لها احملي هذه في كل صباح وطوفي بها غرف المنزل وكراره ومطبخهِ ومتى انتهيتِ من ذلك عودي الى سابق معيشتك ففي هذه العلبة سرٌّ لا يباح لك الاطلاع عليهِ الاَّ بعد مرور عام كامل من هذا اليوم وهو يضمن لك نظام المنزل واقلال النفقات

ففعلت المرأة ما أشار بهِ هذا الحكيم فاستقامت أمورها وخفضت نفقاتها الى حد الثلث ولذلك تاقت نفسها كثيراً الى معرفة ما تحويه تلك العلبة فما صدقت ان انقضى العام حتى فتحتها ونظرت فاذا في داخلها ورقة صغيرة كتبت فيها العبارة الآتية :

(من واجبات ربة البيت أن تهتم بتدبير المنزل بنفسها) هذا كل ما في العلبة على ان السر الحقيقي لم يكن في العلبة بل في طواف السيدة

في المنزل لانها بذلك كانت تلاحظ تقصير الخدم فتنبههم الى واجباتهم وترى بعينها كلما يأتي به الطاهي فلا يستطيع بعد ذلك أن يخادعها بالحساب او يقيد ثمن شيء لم يبتعه في ذلك اليوم

وقد تدهشنَ يا سيداتي اذا قلت لكنَّ ان كثيراً من الامراض التي تنتاب العائلات وتضر بأجسامهم تتأتى عن بقايا اللحم القليلة التي تعلق في خشب الكرسي أو اللوحة التي يستعملها الطهاة لتقطيع اللحم ثم لا يعنون في غسلها جيداً فاذا ما لمست اللحم الجديد أفسدته وجعلته مضراً بآكليه وهكذا الخضار التي توكل بدون طبخ كالخس والفجل وخلافه فانها كثيراً ما تحمل جراثيم الحمى وغيرها من الامراض فتفتك بآكليها اذا لم يبالغ بغسلها جيداً

اتفق لي أن قرأت مقالة لأحد الاطباء في اميركا بيَّن فيها ان أسباب الاصابة بالدودة الوحيدة هي أكل الخضار النيئة في حالة القذارة وذلك ان دم الخنزير قابل لنمو هذه الدودة وهي قلما يخلو منها هذا الحيوان ومعلوم انه متى وجدت جراثيمها في الدم لابد ان تظهر في البراز أيضاً بحيث انه متى رعت الخنازير مكاناً تركت فيه أثراً من برازها ممزوجاً بجراثيم الداء فاذا جاء وقت استنبات الخضار ظهر عليها شيء من تلك الجراثيم تحملها أوراقها النضرة وتنقلها الى المعد

ومع ذلك فكم نرى من النساء من تشاهد ولدها يأكل الخس من البائع مباشرة بدون غسل فلا تنهاه بل هي اذا قيل لها في ذلك تجيب (خليه يتعود) ولكن بربكنَّ اين وجه الفضل في تلك العادة حينما تجرع

الأم ولدها بيدها كاس الاسقام مترعة بالمكروبات القتالة وتسوقهُ بجهلها الى ساحة الموت التي هيهات ان ينجو منها ثم تقول (خليه يتعود)

وعلى الجملة فان الفتيات قلما يدركنَ ماهية العناية الصحية والواجبات البيتية فيستخففنَ بها زاعمات انها ليست من الامور التي يجب ان يعبأ بها وانهُ يكفي ربة البيت ولا سيما المؤسرة ان يكون لديها وصيفة أمينة توكل اليها ادارة اعمال المنزل وملاحظة الخدم والمطبخ . وفاتها ان كثرة الخدم في البيت تستدعي زيادة اهتمام السيدة وتيقظها لان الخطر منهم يصبح أشد وسبل الخيانة والسرقة اوسع

ولا يكفي الفتاة ان تكون عارفة بالاعمال البيتية بل ان الذوق والمهارة من اول واجباتها وهذا ما يمكنها اكتسابه بالاختبار والمطالعة ومعاشرة فضليات النساء

هذا ولو أردت أن ألم باطراف هذا الموضوع واتناول ببحثي كل دقيق من اجزائه وفروعه لضاق بي المقام ولكني أنتقل منهُ الآن الى الواجبات الزوجية وهي المرحلة المهمة من حياة المرأة

المطلب الثامن عشر

ترشيح الفتاة للزواج

لا بد لي قبل الشروع في هذا الموضوع من ان ابيّن الفائدة التي تنجم عن اعداد الوالدين بناتهم للزواج منذ الصغر . فان تكييف العقل وهو بعد ضعيف مرن لأسهل جداً منهُ بعد ان ينمو ويقوى واغتذاء

الفتاة بمحاسن صفات والديها وصدق ارشاداتهم لاحكم وقعاً في نفسها وأشد رسوخاً من اقتباسها الحسنات بنفسها عند الكبر خصوصاً وان التعلم بالاختبار لا يكون الا متأخراً اي بعد وقوع الحوادث التي تؤلم عواطفها وتجعل لها من أثرها امثولة بعد امثولة تتصفحها بعينين مغرورقتين بدموع الأسف التي قاما تفيدها بعد ذلك لأن منزلتها تكون قد انحطت لدى عائلتها وقلب زوجها قد ابتعد عنها فيصعب عليها ان تسترده

ولذلك أقول بوجوب اهتمام الوالدة بنصيحة ابنتها وارشادها الى معرفة الواجبات الزوجية وهي بعد فتاة بحيث يكون لها من سعة العلم باخلاق الرجال والالمام باسرار الوجود ما تتمكن بهِ من اتقاء كوارث الحياة بحسن سياستها وقوة صبرها وحكمتها

ولكي تصل الى هذه الغاية يجب قبل كل شيء ان تفهم حقيقة رجلها كما هو ليس كما تصورهُ لها اميالها ورغائبها فتعلم بانها ككل مخلوق بشري فيهِ معائب وفضائل وأميال واخلاق مختلفة قد تكون مستحسنة لديها او مكروهة في عينيها ففي كل حال يجب ان تدرسها وتنحتها ما امكن ثم تضيف اليها من مادة آدابها ما يمكن معهُ تشييد دعائم مستقبلهما وحفظ كيان راحتهما . ومن العبث وضياع العمر ان تحاول تغيير اخلاقه أو محو ما انطبع في ذهنهِ من صور الصفات الغريزية بالقوة والشكاسة فان ذلك فضلاً عن انه لا يأتي بفائدة فهو قد يعود عليها بالاذى والفشل عودة الغصن الصلب بعد محاولة ليّهِ وليس ذلك لان الرجل شديد الصلافة والصلابة بل ان تطالّ اليد لآدابه قد يمس كبرياءه ويزيد ببعده عن

محجة الهدى . فاذا رأت الزوجة فيه عيباً ورامت اصلاحهُ فليكن بالتوسل تارة والاغضاء طوراً مع التودد والملاطفة والانعطاف والتسليم حيث لا ينفع الجدال فان سلاح المرأة لطفها وصبرها أما المكر والحيلة فهما بضاعة الخاسر

سألت فتاة يوماً عقيلة المستر غلادستون وهي مثال الزوجات الفاضلات كيف تتهيأ لي السعادة في الاقتران فاجابتها ادرسي اخلاق زوجك ووافقيهِ عليها فان المرأة أسهل مطاوعة وألين عريكة من الرجل . فعليها ان تكون البادئة في التوفيق بين طباعها وطباعهِ وان تبذل في ذلك قصارى جهدها

ولقد جرى اكثر الناس ولا سيما الشرقيون في تهذيب بناتهم على قواعد سطحية لا تتجاوز بتأثيرها صقل الظواهر الخارجية فتبدو لعين الرجل جميلة زاهية تنبئ بصفاء جوهر النفس وحسن استعدادها ولكن ذلك لا يثبت تحت محك الامتحان فأحرِ بالفتاة ان لا تتخذ الجمال اساساً لبناء مستقبلها ولا تكتفي باللباقة واللطف رأس مال لنجاحها وسعادتها ولا تجعل العناء والتسلط وسيلة لنيل أمانيها وتحقيق رغائبها بل تعتبر ان الزواج عبارة عن ضحية تقدم له نفسها بجملتها فمتى كانت غير مستعدة او غير قادرة على تضحية نفسها ووقتها وقلبها على هذا المذبح المقدس فخير لها ان تبقى عذراء فتنقذ بذلك رجلاً من العذاب واولاداً يشاطرونها الشقاء والأتعاب

ويجب تعليم الفتاة ان أهم واجبات الزوجة الفاضلة هي المحافظة

على أسرار زوجها فان شقشقة اللسان من أعمال الطيش ونتيجتها سقوط منزلة المرأة والاضرار بزوجها وكذلك اذا وجدت فيهِ عيباً فلا يجدر بها ان تبينهُ لصديقاتها حتى يعلم القاصي والداني بدخائل أمره خصوصاً وانه لا فائدة لها من وراء الاضرار بهِ على هذه الصورة الممقوتة الاَّ اذا كانت تقصد ان تظهر للملأ ما هي عليهِ من التعس والشقاء معهُ وفاتها انهُ اذا كانت التي تشكو اليها عدوة لها سرت لشقائها وتمنت لها المزيد منهُ واذا كانت صديقتها حزنت لحالتها لانها عاجزة عن تفريج كربتها وفي كلا الحالين لا تفيدها الشكوى سوى الفضيحة لأن الكلمة التي ينطق بها صاحبها تملكهُ وأما التي يحفظها فيملكها

ولا بد من الفكاهة بالحديث فان الابتسام زينة الكلام وهو لازم للحياة لزوم الملح للطعام ولكن مع الحذر والتروي وكذلك البشاشة فانها من أعظم البواعث على دوام الحب والهناء بين الزوجين

وأفضل صفات في المرأة الاقتصاد فانه مدعاة الراحة والثقة بين الزوجين وهي كلما زادت بالحرص والتوفير زادها من البذل والسخاء اعتقاداً منه ان أمواله لاتذهب من يدها عبثاً وان ما تذخره من المال يحفظ له ولأولاده وبعكس ذلك متى رآها مائلة الى البذخ والزينة فانه لا يلبث ان يقتر عليها ويشكو دهره ابداً لديها فلتجتهد في ان تكتسب ثقته بتوفيرها ورصاتها وتجتذب رضاه وارتياحه بتدبيرها وحسن نظام معيشتها فان الدقة والسلام مع المعيشة البسيطة أجمل جداً من جميع زخارف العالم يتبعها التعب والخصام . اهـ

SYRIAN PROTESTANT COLLEGE LIBRARY BEIRUT, SYRIA

المحاضرة التاسعة

المطلب التاسع عشر

في المطالعة

تقدم لي القول ان العلم في المدارس مهما كان راقياً ومهما توفرت أسباب تحصيله لأولادنا فهو ليس الاَّ عبارةً عن أساس لما يأتي بعده من العلوم الواسعة التي يتعلمها الانسان بنفسه في مدرسة المستقبل مدرسة العالم والاختبار فاذا كان هذا شأن العلم في المدارس الراقية فكيف به في مدارسنا ولاسيما مدارس بناتنا وهي على ما نعلمهُ جميعنا من الاقتصار على التعاليم الابتدائية البسيطة . ان الطالبات فيها ولا ريب احوج الى وسائل فعالة لتنوير عقولهنَّ وتوسيع دائرة اختبارهنَّ وتأهيلهنَّ للواجبات العظيمة التي ستلقى اليهنَّ . وأفضل تلك الوسائل المطالعة واذخار المعارف التي تجعل لهنَّ رأس مال من العلم والأدب يأمنَّ معهُ شر الحياة ونوائبها

فانه ليس أفضل من المطالعة واسطة لاتمام الفائدة التي يتوخاها الانسان في المدرسة ولا سيما ذات الخدر التي ما من سبيل غير هذا لتقدمها واتساع مداركها بعكس الرجل الذي قد يجد في معاشرة الناس ومعاملتهم ما يكسبهُ حنكةً واختباراً عظيمين يغنيانه احياناً عن مطالعة الكتب

وكفى بالمطالعة فائدة للفتاة اشتغالها بها عن امور كثيرة قد تأتي بها بعض السيدات عمداً او اتفاقاً بقصد التسلية وتمضيـة الوقت وربما كان منها أعظم ضرر لهنَّ وللآخرين كنقل الأخبار التافهـة والتنديد بالغير هذا فضلاً عما يستحوذ على السيدة من الضجر والملل من الحياة التي اكثرها بطالة وكسل مما يجعلها تعمد الى تسلية نفسها بالزيارات والانصراف الى الزينة والاهتمام بالأزياء الجديدة والتدخين الى غير ذلك من الأمور التي تعود عليها بالأضرار المادية والأدبية والصحية

فالمطالعة تشغلها عن مثل هذه الامور فضلاً عما تجده فيها من اللذة والتفكهة فوق ما تقتبسهُ من العلوم والارشادات وما تستزيده من المعارف بمتابعة الاخبار والاكتشافات العلمية والاختراعات الفنية دون أن يكلفها ذلك كبير عناء فان ما تتصفحه مثلاً من المقالات العلمية أو الاديبـة أو التاريخية في دقائق قليلة وما يمكن أن تذخره من لقطات الاخبار وزبدة المعاني بمجرد القاء النظر على اسطرها الوجيزة قد يبذل كاتبها العصاعات والأيام شاحذاً قريحتهُ باذلاً همتهُ منقباً في المؤلفات باحثاً في تواريخ الامم ليستخلص من افكار العلماء واقوال الفلاسفة البلغـاء ما يبني عليه تلك المقالة التي قد تصلنا مسبوكة في قالب البلاغة والاختصار حاوية كلما شاق وراقت مطالعته من الحكم والاخبار كزهرة استمدت من الارض غذاءها واكتسبت من جمال الطبيعة نضارة ألوانها وحسن تركيبها فظهرت لنا بأبهى رونق وألطف منظر لا يعوزنا سوى مدّ يدنا لاقتطافها

ومتى عمّ العلم والمطالعة افراد السيدات واشتغلنَ بهما عما لا ينتج

لهنَّ منه فائدة اصبح ذلك الميل فيهنَّ طبيعياً فانصرفنَ الى تداول الاحاديث الجليلة النفع وكتابة الفصول المطولة في ذلك وانشاء الجمعيات العلمية والادبية والخيرية التي قد يكون منها أعظم فائدة لهنَّ وأفضل واسطة لتقدمهنَّ وقد تمكن السيدة من المطالعة بمجرد معرفتها القراءة والكتابة فترتقي بواسطتهما في المعارف الى حد الوقوف مع اهل العلم. ذكر أحد الخطباء الانكليز في حفلة لا اذكر تاريخها ومكانها قال ان اكثر نسائنا اللواتي اشتهرنَ في حسن الانشاء وذاعت شهرتهنَّ في عالم الادب والعلم لسنَ ممن حزنَ النصيب الكافي من التعاليم المدرسية بل هنَّ أحرزنَ هذا المقام العلمي الرفيع بانصبابهنَّ على مطالعة الكتب المفيدة وتصفح الاخبار العلمية والمجلات الادبية

وهكذا نرى ان للمطالعة شأناً عظيماً في ترقية العقل وتوسيع المدارك انما يجب الحذر من الكتب المفسدة للآداب والمشوهة للاخلاق فانها قد تؤثر في النفس تأثيراً سيئاً

وعندي أن لا تطالع الفتاة كتاباً او جريدة الاَّ بعد ان يطالعها أبواها ويتأكدا من فائدتها لها اما الروايات فالافضل ان تمتنع البنات عن مطالعتها قبل بلوغ السن التي ترسخ فيها آدابهنَّ على شكل لا يخشى معهُ تقلقلها فانه مهما كانت الرواية حسنة المعنى جزيلة الالفاظ أدبية المغزى فانها لا تخلو من حوادث غرامية وحيل فنية تنبه افكار الفتاة وعواطفها الى أمور لا تزال تجهلها وقد لا يفيدها ان تطلع عليها وتلم بأسرارها في زمن الحداثة والصبوة

وما يقال في اختيار الكتب المفيدة للمطالعة يقال أيضاً في اختيار الاصدقاء الملائمين للمعاشرة لأن الكتاب والصديق واحدٌ من حيث أئتناس المرء بهما والتأثر من معانيهما

ولذلك استأذن حضرات السيدات البحث في آداب المعاشرة

المطلب العشرون

في آداب المعاشرة

للمعاشرة آداب ينبغي ان يحافظ عليها المرء في جميع معاملاته سواء في بيته او بين أصدقائهِ ومعارفهِ مع رؤسائهِ او خدمهِ وكل من يتعامل معهم كباراً وصغاراً نساءً ورجالاً فانهُ مهما ارتفعت مظاهر الكلفة واشتدت رابطة الوداد بين صديقين او أخوين او زوجين فلا بد لكل منهم من مراعاة شعائر الآخر واتمام ما عليهِ من الواجبات نحوه وعلى ذلك نجد الغربيين يعلمون اولادهم آداب السلوك منذ الصغر بحيث يشبون وهم على علم تام بماهية واجباتهم نحو القريب والغريب فلا يشذون عن مصطلحاتهم الاجتماعية ولا تفوتهم معرفة واجباتهم البيتية

أما نحن فقلَّ من يكترث منا لتعليم أولاده هذه الواجبات بل نترك ذلك الى الطبيعة ثقة بأن ما يفوتهم تعلمهُ منا يعلمهم أياه الاختبار ولذلك نرى فتياتنا يرتبكنَ في أصغر الاجتماعات ويتلجلجنَ في أبسط الأحاديث لأنهنَ لسنَ على علم من الخطة التي يجب أن يتبعنها في أحاديثهنَّ

ومقابلاتهنَّ داخل المنازل وخارجها على المائدة وفي الطرق والمتنزهات والأسواق

فاننا اذا راقبنا فتاتين اوربية وشرقية في وقت الزيارات لرأينا الأولى تستقبل ضيوفها بلطف وابتسام وتجالسهم وتحادث كلاًّ منهم بما يقتضيه المقام دون أن يبدو عليها اضطراب او ارتباك بل كأنما هي تقوم بعمل عادي تعلمتهُ وألفتهُ حتى اصبح من الأمور السهلة لديها في حين أن الأخرى لا تكاد تقع عينها على زائراتها حتى تضطرب ويعلو وجهها احمرار الحياء والخجل فتتقدم للسلام عليهنَّ وهي تتعثر باذيالها وتكاد لا تملك نفسها من شدة الارتباك مما يستولي عليها من الحيرة والتردد في اتخاذ المكان المناسب لجلوسها والأحاديث التي يحسن البحث فيها وكثيراً ما يبدو منها تقصير يدعو للانتقاد عليها وهذا التقصير يظهر ايضاً في اطفالنا وخدمنا وكل من تضمهُ منازلنا. ولا يصلح ذلك الاَّ اذا اعتنت الأم بتعليم صغارها آداب السلوك ودربت خدمها على معرفة الواجبات التي يلزم ان يتبعوها ويحافظوا عليها فتستقيم احوال الأسرة ويظللهم علم الراحة والسرور

واول ما يجب على الأم ان تعلم اولادها وجوب احترام بعضهم بعضاً فلا تسمح لأحدهم ان يشتم الآخر او يدعو عليهِ او ينقل عنهُ خبراً كاذباً او يتهمهُ بأمر هو بريءٌ منهُ لمجرد تكديره او التشفي منهُ وبذلك تعلمهم وجوب احترام انفسهم واجلال الآخرين وينبغي ايضاً ان تفرض على كل منهم ان يخدم الآخر ويساعده فيما يحتاج منه وان يذعن له ولا يستأثر بشيءٍ دونه ثم تعلمهم كيف يجب ان يسلكوا في حضرة الزائرين وكيف

يعاملون الخدم وما هي الآداب التي يجب ان يتبعوهـا على المائدة وفي الاجتماعات وما هي الملابس التي تليق ان يرتدوا بها الى غير ذلك مما لا يخفى على فطنتكنّ فان

صغير السن في التأديب يرجى ولا يرجى لتأديبٍ كبيرُ

وأهم ما يطلب من الأم هو تعليم فتاتها آداب المعاملات الزوجيـة

ويجب ان تفهم الفتاة ان اول شرط لازم في هناء المعيشة الزوجية هو الحب المتبادل بين الزوجين تلك العاطفة السامية التي تشرك قلبيهمـا فيبتهجان بتقاسمهمـا الافراح ويقويان على احتمال الأحزان ولا يكون الحب بالتدليل وترديد عبارات الوداد ولا بالتزين واظهار الانعطاف بل يكون بانكار الذات وايثار كل من الزوجين الآخر على نفسه والاهتمام بهِ في العسر واليسر

المحاضرة العاشرة

﴿ الخاتمة ﴾

اذا نظرنا في احوال الناس عموماً نجد عوامل عديدة تؤثر فيهم ولذلك هم يختلفون كثيراً بين صقع وصقع ومن جيل الى جيل . فالأقليم ومواقع البلدان واختلاف الفصول ودرجة الحرارة وسهولة الارض ووعورتها وخصبها وجدبها وجبالها ووهادها كل ذلك يؤثر في البشر فيجعل فيهم اختلافاً في الامزجة والاخلاق والتكوين نفسه بين قبح وجمال وشدة ورخاء وضعف وحزم وخشونة ولين وشجاعة وجبن وذكاء وبلادة وتروٍّ وحمق واعتدال وتطرف وينطبع أثر ذلك في معاملاتهم وسياساتهم وهذا من جملة اسباب عدم تساوي البشر في صفاتهم ونظاماتهم واستعدادهم وسائر ما يتعلق بهم

على ان الانسان قادر بما فيهِ من قوة الكسب بالاختبار وما له من وسائل الاستنباط على مقاومة هذه العوامل الطبيعية وتعديلها وتكييفها وصرفها الى منفعتهِ او ضرره بحسب ميله واستعداده . يدلنا على ذلك الاختلاف البين في أهل البلد الواحد بين عصر وعصر . فان الشعوب الاوربية والاميركية قد ارتقت في العصور الاخيرة ارتقاءً عظيماً مع وجود بلادها دائماً في منطقة واحدة وأقليم واحد وتأثرها بمؤثرات طبيعية واحدة وكذلك الشعوب العربية قد تأخرت عن العصور الماضية

مع استمرار أحوالها الطبيعية وتساوي أقاليمها الاستوائية . فلا بدَّ اذاً من عوامل أخرى غير العوامل الطبيعية تؤثر في احوال الانسان هذا التأثير العجيب

وهذه العوامل الاخرى هي ما يسمونه بالعوامل الادبيـة . وهي تنحصر في أمرين اساسيين هما التعليم والتربيـة ويشترط في ذلك التعليم الذي يتولى قيادة العقل وصياغة احكامهِ والتربية التي تتولى قيادة الاخلاق وطبعها على الخطة التي ترسمها لها

وبديهي ان هذه القيادة في التعليم والتربية لا تكون حسنة الاَّ اذا كانت نافعة ومفيدة للغاية التي وضعت لأجلها ولكي تكون كذلك يجب ان يكون مرماها تعرف الطبيعة كما هي حقيقة لا كما يصوّرها لنا الوهم او الاماني والاَّ وقع الضلّ وكان العلم شرًّا من الجهل

ولقد بحثت في محاضراتي الماضية في اصول التربية العقلية والجسدية بحثاً مفصلاً وأبنتُ الخطة التي يجب أن يسلكها المربون والمعلمون في تقوية اجساد الاولاد وتهذيب اخلاقهم وتثقيف عقولهم والآن أستأذنكنَّ بالبحث في أحوالنا الخاصة وماهية التربية والتعليم التي نحن سائرون عليها ونتائج تأثيرها في ابنائنا وبناتنا بحيث يتبين لنا الضار منها فنجتنبهُ والصالح فنتمسك باهدابه ونجري على قواعده

ان التربية كانت ولا تزال متأخرة في الشرق تأخراً عظيماً ليس بالنسبة الى الامم الراقية اليوم فقط بل بالنسبة الى ماضينا وما كان عليهِ اسلافنا من العقول الثاقبة والمبادىء القويمة والطباع الراقية والذكاء الباهر

والبيان الساحر وما كانت عليهِ نساؤهم من الحصافة في الرأي والبسالة في المعارك والبلاغة في النظم والنثر والتشبث بعرى الآداب والفضيلة والشرف بحيث اننا اذا قابلنا بين احوالهم واحوالنا وآدابهم وآدابنا يبدو لنا فرق عظيم ربما يدفعنا او يدفع بعضنا الى الاعتقاد باننا لسنا من طينة تلك السلالة الممتازة بطيب محتدها المتفردة بمحاسن اخلاقها . بل انما نحن أحط منهم جبلة وأخلاقاً وأضعف منهم عقلاً وادراكاً ولذلك عجزنا عن مباراتهم

كلاَّ يا سيداتي اننا لسنا أضعف من أسلافنا عقلاً ونساءنا ليست أقل من نسائهم حصافة وذكاءً ولكن هي الحوادث قضت بان يكون عصرهم ربيعاً زاهراً بورود الرقي الطبيعي فكانت الصفات الطيبة والآداب العالية فطرية فيهم يتوارثونها خلفاً عن سلف وقد زادها رسوخاً فيهم نقاء سريرتهم وبعدهم عما ينطبع في النفس من سوء الملكات التي يدعو اليها تنازع البقاء في الحياة الحضرية

اما نحن فقد وجدنا في عصر اشبه بفصل خريف مظلم الجو متناثر الاوراق لا أثر في تربتهِ لبذور العلم ولا مساعد في طبيعة جوه لاستثمار التربية ولا بدعَ فان للحياة العمرانية أدواراً تتقلب فيها تقلب الفرد في أطوار حياتهِ الطبيعية وتمر بها فصول تختلف بين قيظ يذهب برؤاء مدنيتها وجليد يوقف حركة اعضائها وربيع يخلع على رياضها حلل البهاء والارتقاء وخريف يلبسها ثوب القحط والفناء . ولما كان من نصيبنا انَّا وجدنا اليوم في دور مظلم كان علينا ان نقوم بنشر أنوار العلم والمدنية لكي

يتيسر لنسائنا ان يضعنَ الاساس اللازم لبناء العمران على شكل يضمن سلامة الوطن ويرفع شأن الامة وهذا ولا شك عمل كثير الوعورة عظيم الاهمية لا نلام نحن الشرقيين اذا وقفنا لديهِ زمناً جزعين مستسلمين لليأس بل لا يؤخذ ذلك دليلاً على انحطاطنا وعدم مقدرتنا على التشبه يوماً باسلافنا والاقتداء بالأمم الراقية من جيراننا فان ما نراه من نجاح ناشئتنا بالعلوم وتبريز افرادها على أقرانهم من الغربيين في المدارس الأوربية والاميركية يؤيد لنا وفرة ذكاء الشرقيين عموماً والمصريين خصوصاً ومقدرتهم على مسابقة الاوربيين في حلبة النجاح متى تمهدت لهم السبل لذلك

أجل يا سيداتي ان لدينا من الاستعداد العقلي ما يؤهلنا لبلوغ أقصى درجات الفلاح وانما ينقصنا العلم . العلم الصحيح . العلم النافع العلم الذي يثقف العقل وينيره ويعظم شأن صاحبه وينقصنا بسبب ذلك كله خصوصاً الاختبار

فاذا تقرر لدينا ذلك يلزمنا ان نبحث في ماهية التعليم النافع والتربية اللازمة لنا متخذات أفضل احوال الشعوب الراقية نموذجاً ننسج على منواله ونجتهد بتجاوزه الى ما هو أفضل ايضاً ولا سيما واننا من سلالة قوم شهد لهم التاريخ بالاستعداد الفطري الحسن لقبول الرقي في العمران . وسواء انتسبنا الى المصريين الاصليين او الى العرب فالمصريون القدماء بلغوا من التمدن شأواً سبقوا فيهِ سائر الأمم والعرب بلغوا في الحضارة مبلغاً فازوا بهِ على سائر معاصريهم . واذا رجعنا الى شهادة علماء الانثروبولوجيا

وهو العلم الذي يبحث في تكوين الانسان الطبيعي وجدناها متفقة مع شهادة التاريخ لهم قال البارون لاتري في وصف الاعراب

« انهم يسمون على سائر الاجيال بالنظر الى هيئة القحف وسعة الدماغ وكثرة تلافيفهِ وبناء الاعصاب وشكل الالياف العضلية والنسيج العظمي وقوام القلب ونظام نبضاته فضلاً عما هم عليهِ من ملاحة السحنات وتناسب الاعضاء فهم قد جمعوا بين العقل الصحيح والجسم الصحيح ولذلك بلغوا من الحضارة والمدنية وفخامة الملك وبسطة العمران مبلغاً عظيماً فان قلنا ان سبب هذا النجاح في الماضي هو تأثير طبيعة البلاد في التكوين والاخلاق فهذه الطبيعة لم تتغير اليوم عما كانت عليهِ في ذلك الزمن فلماذا اذن تغيرنا نحن ؟ . . .

ان هذا يؤيد ما قلتهُ سابقاً بأن العوامل الادبية متممة للعوامل الطبيعية وكثيراً ما تتغلب عليها . وما تأخرنا اليوم الاَّ من نقص هذه العوامل الادبية فينا

ولا مشاحة في ان علمنا اليوم ناقص جداً وتربيتنا سقيمة فمدارسنا الابتدائية لا تزال لسوء الحظ وسيلة لزيادة صدأ الاذهان اكثر منها لازالة أدران الجهل ومدارسنا العالية وان كان عليها مسحة من النظامات التي اقتبسناها عن سواها من مدارس الامم الراقية الا انها ليست من أرقاها لان هذه النظامات في البلاد الراقية نفسها متفاوتة وأرقاها لا يسلم من الاعتراض والعلم فيها اكثره نظري ونحن في حياتنا محتاجون اليوم الى علم عملي حسي صادق الاختبار في مقدماته وما يبنى عليها من النتائج

قريب المأخذ مؤكد الفائدة لا يضيع فيهِ وقت التلميذ جزافاً ولا يتيه عقله فيه ضلالاً يجب ان تكون المدارس عبارة عن حقول وجبال ووهاد ومعارض ومصانع مصغرة يلمس التلميذ بيديه ويرى بعينيهِ ما يقرأه في كتابه المختصر المفيد وهي امنية مدارس المستقبل . اما تربيتنا البيتية والاجتماعية فمجموع سخافات وخرافات لا طائل تحتها فهي تربي العواطف الى درجة التأثر الشديد وفقدان الصبر والاحتمال وتعد العقل لقبول أنواع الضلال وكذلك ترفه الاجسام الى حد الترهل وضعف القوى

هذه هي خطة التربية والتعليم التي يسير عليها الوالدون في البيوت والمعلمون في المدارس وهي التي يجب ان تصلح اولاً بتقوية الاجسام وذلك بالرياضة وتعريضها للهواء والشمس وتعويدها الاعمال الشاقة البدنية ثانياً باصلاح منهج التربيـة في البيت والتعليم في المدارس وتلقين الطفل وهو بعد في البيت قبل دخوله المدرسة مبادىء العلوم الطبيعيـة شفاهاً وبطريقة حسية سهلة المأخذ كما بينت ذلك في باب التربية البيتية .

أما التعليم في المدارس فاننـا اذا نظرنا اليهِ نظرة خالية من الغرض والمداجاة والتشيع لا بدَّ لنا من الاعتراف بأنهُ ناقص جداً بل فاسد ايضاً أقول ذلك متذرعة بهِ الى استلفات الانظار عموماً للاصغاء الى ما سأبديهِ من الملحوظات العمومية المتعلقة بموضوع التعليم سواء في مدارسنا الابتدائية او العالية ملتمسة منكنَّ ومن جمهور المطَّلعين على كلامي هذا استيعابه بمنتهى التسامح اللازم لطلاب الحقائق الذين لا يسمحون لأغراضهم مهما كانت ان تطمسها

قلت ان التعليم في مدارسنا ناقص جداً وفاسد ايضاً يضل فيهِ العقل ضلالاً ويضيع فيهِ وقت الانسان سدى بما ينفقهُ فيهِ من الزمن الطويل جزافاً على غير جدوى وقد تسوء معهُ احكامه لقيامها على اسس أقرب الى النظر والخيال منها الى الواقع والاختبار

لنأخذ اي برنامج من برامج المدارس عموماً ونتفحصهُ بالنظر الصائب والعين النافذة فنجد ان أساس اكثره النظر لا العمل واجهاد الأحكام المبنية على النظر العقلي اكثر من الأحكام المبنية على الاختبار العملي . يجلس التلميذ في مدرستهِ ويأخذ يقرأ ويدرس ويحفظ عن ظهر قلبهِ أدبيات ومبادىء واموراً لا يرى لديه أثراً حسياً يؤيدها فتنطبع فيهِ انطباع الاصوات الفونوغرافية والصور الفوتوغرافية ولا يكون شأنه بها ثمت الاَّ شأن الببغاء لا يلبث ان ينساها عاجلاً ام آجلاً وتزول صورها من ذهنهِ بالكلية

هذا فضلاً عن مخالفتها احياناً كثيرة للواقع مما يجعل احكام العقل على التمادي متناقضة غريبة جداً مع قضاء هذه الغرابة وذلك التناقض على صاحب الفكر نفسهِ

واننا اذا نظرنا الى أهل العلم في بلادنا نجد اكثر الذين نبغوا منهم وحازوا مكانة عالية من الآداب هم من أهل التحصيل وأرباب الاجتهاد الذين لم يتعلموا في المدارس مطلقاً او تعلموا فيها شيئاً قليلاً لم يقوَ على تقييد أفكارهم الحرة وغل نفوسهم المطلقة بل درسوا العلم على أنفسهم واختاروا منهُ ما تقبله عقولهم فاستفادوا منهُ حقائق رسخت في أذهانهم وانطبعت

على لوح حافظتهم فبلغت بهم منزلة عالية من العلم والاحاطة باصوله وفروعهِ

هذا فيما يختص بمدارس الاولاد فما قولنا بمدارس البنات وهي كما نعلم عبارة عن كتاتيب بسيطة لا تأتي الفتاة بالفائدة المطلوبة ولا تجعلها نافعة في عائلتها ولذلك فاننا ننتظر بذاهب الصبر ان تأخذ الحمية فضليات نسائنا فيباشرنَ سدّ هـذه الثلمة بايجاد مدارس للبنات تعلمهنّ العلوم اللازمة لترقية عقولهنّ واتخاذ ما يلزم من الوسائل لتنمية قواهنّ الجسمية وملكاتهنّ العقلية فيعرفنَ ما في الكون من الموجودات ويتشوقنَ الى استطلاع عجائبهِ والوقوف على أسراره

والمقصود من تعليم المرأة ليس ان تكون أستاذة او متشرعة او فيلسوفة ولكن لتعرف كيف تبث الافكار العالية في اولادها وتذهب بهم الى ما تريده لهم من النجاح والفلاح

ومما يلزم البنات والصبيان على السواء الاشتغال بآداب اللغة العربية والتوفر على اتقان علومها واحكام الجري على اسلوبها عالماً بما لها من المزية التي انفردت بها عن سائر اللغات فضلاً عن ان اتقان اللغة الوطنية عند كل أمة مقدم على جميع العلوم اذ هي القالب الذي تسبك فيهِ المعاني والمرآة التي تمثل فيها صور الخواطر فمتى كان ذلك القالب أجمل تكويناً وتلك المرآة أصفى ماءً جاءت المعاني أبدع احكاماً والخواطر أنصع بياناً

وان ما نراه من تنبيه الافكار الى نشر المدارس واصلاح نسق التعليم فيها يبشرنا بفجر نهضة جديدة سوف تكسب البلاد حلل الارتقاء في ظل عزيز قطرنا مولانا الخديوي العظيم الشأن

تربية الذوق

خطاب ألقيتهُ في حفلة جمعية غرف القراءة في بحمدون « لبنان » في آخر
شهر اكتوبر فآثرت اضافته الى هذا الكتاب
لما ان موضوعه في التربية

طلب اليَّ ان احدثكم الليلة بما يتنزل منزلة الخطابة فاجبت الطلب على اعترافي بقصر الباع وقلة البضاعة وقدمت الى بحمدون هذه القرية الجميلة مساء امس والثقة تملأ فؤادي بأني سأجد لضعفي شفيعاً لديكم ومن كان شفيعه امثال حضراتكم فلا يخشى الانتقاد

جئت امس الى بحمدون وما استقرَّ مقامي فيها حتى شعرت بلطف هوائها وطيب مناخها فخفق فؤادي شكراً لرجال هذه الجمعية الأفاضل الذين كانوا السبب في تمتعي بذلك السرور ووقفت حيناً امتع طرفي بجمال الطبيعة وبهائها فأبصرت مشهداً لا يمكن أن تقع العيون على أجمل منهُ رأيت غيوماً تلبد بعضها فوق بعض كأنها جبال تمتدُّ من جهة المغيب حتى جبل صنين وهي بين لطف وكثافة تتمثل فيها رسوم واضحة كأنها أشجار تتعانق اغصانها في غفلة من عيون البحر المراقبة او غادة يبدو وشاحها الأبيض من خلال حلقات شعرها الحالك السواد ومن ورائها ذكاء تختال بحلتها الارجوانية كشعلة نار ترسل من لحاظها سهاماً تخترق تلك الجبال البخارية وتطبع على وجناتها قبلاً حارة فتغيرها من الورد احمراراً ومن البنفسج استحياءً واتضاعاً

كل ذلك والنسيم يهبّ عليها مداعباً فيعبث بطيات ثوبها الرمادي ويكشف الستر عن هامتها فيبدو رأسها متوجاً بأشعة ذهبية يخطف بهاؤها الأبصار ويحير جمالها الافكار وكأن في يديها صولجاناً من نور او سيفاً من نار تحرّكه باشارة من مليكة الطبيعة فيترك بمروره خطوطاً ساطعة ترتسم باشكال هندسية ثم تضمحل وتتلاشى طي تموجات النور

فلبثت أعاينها وهي تسير ببطء نحو الشرق ومن تحتها الجبال مشرقة الوجه باسمة الثغر وقد ساد السكون على البسيطة فلم ارَ غصناً يميل او نباتاً يتحرك بل لم يكن هناك عصفور يغرّد او ماء ينساب كأنما كلّ ما في الطبيعة شاعر بجمال المشهد وجلاله فقطع أنفاسه وجمد في مكانه هيبةً وخشوعاً

على اني رأيت افراداً وجماعات من الناس كباراً وصغاراً صبياناً وبنات يسيرون في الطرق والحقول وهم بين محدّث ومصغٍ عابس وضاحك مسرع ومتمهل . وكل منهم منصرف بافكاره الى وجهة جعلها قبلته

ولكن اسمحوا لي أن أقول لكم : انهُ لم يكن بينهم من اكترث لجمال الطبيعة او أرسل نظرة اهتمام لما هو جارٍ فوقه من بدائع المشهودات اجل لم أرَ اماً تستلفت افكار ولدها الى اعمال امه الطبيعة ولا رأيت والداً يظهر لابنته عظمة الكون وغرابة نظامه بل لم أرَ غادة حدّقت في العلاء او شاباً أُخذ بجمال تلك المشاهد الغراء كما اني لم ابصر صغيراً يشير ببنانه . الترفة الى تلك الرسوم المنقوشة بأبهى الالوان ولا شيخاً يرسل رائد الفكر في مجاهل الفضاء مسبحاً باري الاكوان

أجل ايها السادة لم يكن فيمن رأيتهم من مال بوجهه نحو تلك المشاهد التي خطتها يد الطبيعة بأبدع الاشكال فجعلت من تلك الغيوم المتراكمة شبه أنهار تجري من تحت قناطر سنجابية تعلوها هضاب وآكام ويحيط بها صخور وحصى ورمال ومن ورائها زرقة السحاب تجسم الرسوم بما فيها من خلايا وسدود ونتوات بحيث تبدو للنظر على أتمّ وضوح وابدع مثال

وكأني بالشمس حزنت لما صادفتهُ بين أبنائها من قلة الاحتفاء بشانها وعدم الاكتراث لأمرها فاكفهرّ محياها أسفاً وبردت أطرافها تأثراً وانفعالاً ثم ما لبث ان خفق فؤادها بزفرة حارة وأغمضت أجفانها فغابت رسل أنظارها ومالت برأسها فوق كتف البحر فخبأت وجهها بين طيات أمواجه

وعندئذٍ نبهتني يد الظلام الباردة التي كانت تمتد نحو صفحات الوجود فتطمس رسومها وتمحي آيات جمالها فوقفت متسائلة عن معنى هذا الجمود واسباب الاهمال هل يمكن تأويله لقلة جمال مشاهد الطبيعة والطبيعة اجمل ما في الوجود . . . او لعجز الانسان عن ادراك اسرارها وهو العاقل الحكيم والمخترع العظيم . لعمري لا هذا ولا ذاك ولكننا نحن الشرقيين على اختلاف نحلنا وطبقاتنا لم نتعوَّد الالتفات الى الاشياء الجميلة ولا توفرت لنا الوسائط الفعالة لتربية الذوق وانماء حاسة تقدير الأمور العظيمة قدرها

عفواً سادتي انني لا أقصد بذلك لوماً او عتاباً . بل حاشا لي أن أنسب لابناء جنسي وبناته ضعفاً وعيباً . وهم سلالة أقوام اشتهروا من قديم الدهر

بالمدنية والارتقاء ولن يزالوا على قلة وسائط التقدم وحداثة عهدهم به يعدون من اكثر الشعوب ذكاءً وأسماهم اخلاقاً

ولكن هي الدنيا لحياتها ادوار واطوار لا بدَّ ان تمر بالشعوب فتجعلها كالافراد تارةً طفلة بلهاء وطوراً صبية حمقاء وحيناً كهلة حكيمة وآخر شيخة خبيرة

ونحن في طور الحداثة ان لم أقل دور الفطام بل نحن في دور النقاهة من مرض لا ذنب لنا في تفشيه وانما هو ذنب الأيام

فقد وجدنا في فصل خريف تناثرت اوراق العلم عن اغصانه وتلبد جوُّه بغيوم التأخر فرأينا أنفسنا على حضيض من الأوهام والسخافات لا أساس علم فيه نشيد عليهِ ولا مثال ننسج على منواله

فكان علينا أن نضع الأساس وان ننسج المثال ولقد فعلنا وبلغنا بعض المأمول فانتشرت بيننا المدارس واتسعت المعارف وارتقت العقول حتى اصبحنا اليوم غيرنا منذ ٤٠ عاماً . فنحن مهما تأخر حالنا فلنا فضل المتقدم . على انه لا يزال ينقصنا أمر جوهري لا نستطيع ابتياعه بالمال ولا يمكننا التقاطه مع مفردات اللغات كما اننا لا نجده في ساحات المخاصرة ولا توحيه الينا نغمات الأوتار وانما نجده في البيت نجده في كنف الأمهات ألا وهو التربية عموماً وتربية الذوق خصوصاً

ان تربية الذوق لمن أهم الامور للاحداث لأن عليها تترتب فوائد جمة للانسان قد تكون سبب تقدمه في مدارج العلاء او تأخرهُ الى اسفل الدركات

فلكم من تاجر بارت تجارته لأنه لم يحسن وضعها ولم يراعِ تناسق ألوانها بل كم من فتاة ضاع جمالها لعدم اختيارها اللون والزي الموافقين لها

او لا نرى أحياناً كوخاً حقيراً لا رياش فيه الا ما كان بخس الثمن ومع ذلك نجده جميلاً لحسن ترتيبه ووضع اشيائه في محلها بشكل ترتاح النفس اليه وأحياناً نرى قصراً شاهقاً تنبو العين عن رؤيته على ما فيه من الامتعة الثمينة والرياش النادرة وذلك لخلوه مما يميل اليهِ الذوق السليم

ان تربية الذوق ترفع قدر المرء وتلطف أخلاقه . تدفعه الى اتقان أعماله وتساعده على تنضيد الفاظه وتجعله يدرك قدر الاعمال العظيمة فيميل الى الاقتداء باصحابها وعلى الجملة فهي تساعده على اقتباس كل صفات حسنة واحترام كل عمل جليل

بل ان تربية الذوق هي اصل سعادة الانسان لأنه على قدر حسن ذوقه تكون قوة تمييزه الاشياء ومعرفته أوجه الشبه والعلاقات بينها . ولا بدع فان الذوق هو القوى العاقلة التي تتأثر من الشيء الجميل فاذا لم تتهذب هذه القوى لبثت ضعيفة قليلة النمو وكان صاحبها أشبه بآلة تتحرك ميكانيكياً دون أن يتقن عملاً من الأعمال او يبرع بفن من الفنون اذ انَّى له ذلك وهو لا يدرك الفرق الكائن في درجات الجمال واذا فعل فادراكه يكون ضعيفاً بالنسبة الى غيره من اصحاب الذوق السليم. ويتضح لنا ذلك متى أوقفنا اثنين لدى صورة متقنة الصنع وكان احدهما مصوراً بارعاً والآخر بسيطاً جاهلاً فنرى الجاهل يستحسن الصورة استحساناً سطحياً حتى لو لم تكن تستحق الاستحسان فيكفيه ما يراه فيها من

تزويق الوان وبرقشة ظواهر وقد تكون هـذه حالته لدى أحكم الصور عملاً واحقرها صنعاً لا فرق عنده بين هذه وتلك ولا أفضلية في احدهما. في حين اننا نرى المصور يتأثر من حسن اتقانها تأثراً يتناول كل عواطفه واذا كان فيها ما يدعو الى الانتقاد ادرك ذلك بلمحة وبيّن مكان الخطأ فيها وبهذا يتضاعف سروره وتأثره

فما هو السر في ذلك وما هو السبب في الفرق الكائن بين المصور والجاهل . الفرق هو ان المصور نال حظاً من تربية الذوق لم ينله الجاهل فكان ما رأيناه من تباين شعورهما لدى الصورة

ومعلوم ان الناس مختلفون ابداً في اذواقهم اختلافهم باميالهم ودرجة افهامهم حتى سار القول مثلاً بان (لا جدل في الذوق)

وليس الغرض من التربية ازالة هذا الخلاف وانما القصد انماء القوى العاقلة حتى تصير قادرة على ادراك اسرار الجمال والتمييز بين درجاته . وبذلك ترتفع منزلة الانسان الروحيـة وتصبح غايته من الحياة عظيمة سامية أرفع من أن تقنعها الماديات او ترضيها الارضيات

ان الغاية القصوى التي يسعى اليها المرء في دنياه هي السعادة بلا ريب والسعادة لا يمكن أن ينالها الجاهل بجهله او الغني بثروته او البطل بقوته او التقي بصلاته فتلك امور وان اتت الانسان ببعض الفائدة فلن تجعله وحدها سعيداً وانما السعادة الحقيقية هي التنعم بملذات العقل والتمتع بنتائج اعماله ولا يسع العقل ادراك هـذه الملذات الاَّ اذا تهذبت فيه حاسة الذوق

ألا نرى كيف ان الشاعر متى اجاد قصيدة يقف عند نهايتها ناظراً في سطورها متأملاً معانيها بسرور يلامس روحه ويستولي على كل عواطفه ومثله الكاتب متى عني بتدبيج مقالة رنانة محكمة السبك وكذلك المصور والنقاش متى ابدع كلاهما في صنع رسم او تمثال. وقس على هؤلاء النجار والاسكاف وغيرهم فان كل من عمل عملاً واتقنه شعر بان عقله يترنح ثملاً بخمرة الفوز وروحه تطير في جو السرور والاعجاب اما مَن لم يتهذب ذوقه فقد حرم طبعاً من هذه اللذة الروحية بل السعادة التامة وكان شبيهاً بالعجماوات التي تعيش لتحمل الاثقال وتملأ جوفها بانواع المآكل

وأفضل الوسائل لتربيـة الذوق هي الموسيقى والتصوير. فالاولى ترفع النفس الى أسمى مراقي الكمال واللطف وتلبسها أجمل حلل الرقة والحنان فتنمي فيها عواطف الحب والشفقة وتميل بها اصغاءً لصوت البائس وزفرة اليائس. والثانية تنمي في المرء قوة التصور وحسن التمييز وتساعده على ادراك قدر المحسوسات وكيفية نظامها. ومن دواعي الاسف ان هذين الفنين منحطان جداً في الشرق كما هي الحال في سائر الفنون الجميلة

تلك هي اكبر اسباب تأخرنا في ميدان الرقي. اما في الغرب حيث الحال على عكس ما هي عندنا فان شعوبه ينافس بعضهم بعضاً بالاختراعات الصناعية والاكتشافات العلمية فضلاً عما يتحلى به افرادهم من حسن اللباقة والظرف وما يشبون عليه من المبادئ المتقاربة الاصول المتشابهة العادات بحيث يجد كل منهم ارتياحاً للوسط الذي هو فيه وسروراً من

معاشرة اي كان من ابناء جنسه اما عندنا فالقوم خليط بعاداته متباين باميال مختلف بمعارفه حتى نكاد لا نجد اثنين غريبين ان لم اقل اخوين على اتفاق في مبدأ او رأي . وما ذلك الاَّ لعدم وجود اساس نشيد عليه دعائم حياتنا الادبية او قاعدة نجري عليها في آدابنا الاجتماعية

يصحب الغربي ابنه الى حيث توجد الآثار القديمة مثلاً فيبدي له من عظمتها السالفة وقدر أصحابها الغابرين ما يملأ قلبه الصغير احتراماً وتعظيماً ويقف به لدى بعض تماثيل الرجال العظام فينقل اليه من أخبار مجدهم وسالف عزهم ما يجعله يرفع رأسه افتخاراً واعجاباً وهكذا يدرك شيئاً فشيئاً قيمة تلك الآثار ويندفع يوماً فيوماً لاقتفاء أثر أصحابها

اما نحن فاذا اتفق لنا ان نمرّ بقرب الأرز او قلعة بعلبك او آثار تدمر فاكثرنا يكتفي بالقاء نظرة بسيطة قد لا تشمل سائر مظاهرها وموجوداتها وقل منا مَن يهتم لمعرفة تاريخها او يشرح لولده شيئاً عنها فالولد الذي يشب على هذه الحال يظل كل عمره بليداً مغتراً بنفسه يجهل فضل الرجال ولا يعرف قيمة للجميل من الاعمال وقد يعتقد ان الدنيا قائمة بمحل وجوده والعالم محصور بذاته الكريمة لا معارف الاَّ ما يجمعه ضمن دائرة عقله الضيق ولا من يستحق الاهتمام والاحترام الاَّ جنابه الكريم

يعلّم الغربي ولده مبادئ الدين بان يستلفت نظره الى جمال الطبيعة ونظام الكون فينتقل بافكاره الى أعالي الجبال حيث يريه هندسة تركيبها وانواع صخورها ويهبط به الى أسفل الوهاد فيشرح له كيفية تكوينها

وتحجر أخشابها ثم يجول واياه مع السيارات وحول الشمس وبين النجوم فيشرح له عن دقة نظامها وغرابة ترتيبها وشكل حركاتها وجمال منظرها حتى اذا امتلأ دماغه الصغير احتراماً لكيانها وهيبة لعظمتها واعجاباً بترتيبها . أفهمهُ حينئذٍ انه يوجد من هو أسمى منها كثيراً الا وهي القوة التي اوجدتها : الاله الخالق : بهذه الواسطة يمتلئ الولد احتراماً لذلك الخالق القدير

اما نحن فنبدأ بتعاليمنا الدينية بعبارات مبتذلة نرددها على مسمع الولد الى ان ترسخ في ذهنه فيكررها دون أن يفهمها او يخطر له تفهم معناها وننتهي بمواعظ وارشادات تقتل عقل الولد بعويص ألفاظها وتعقيد معانيها وهكذا ترون ايها السادة ان ابناء الشرق محرومون من وسائل الارتقاء الادبي سواء في البيت والبستان في المدرسة والسوق لا مربي لهم ولا مرشد ولا معلم وما نبغ بعض رجال ونساء فيهم الاَّ بجدهم واجتهادهم وكثرة مطالعاتهم وانصبابهم على توفير معارفهم والعمل على تثقيف عقولهم وتحسين صفاتهم . وهؤلاء هم أمثال حضراتكم الذين برهنتم بحضوركم هذا الاحتفال على انكم اكرم من يوصل بهم الرجاء وتناط بهم الآمال

فاياكم أدعو لاصلاح الحال ومنكم أرجو الاهتمام لتربية الذوق في الاولاد . ادعوكم الى العناية بانماء عقولهم وتقويم أخلاقهم . الى تشويقهم للبحث وترغيبهم في الدرس الى غرس حب الطبيعة في قلوبهم وهم احداث واخيراً الى تحسين الذوق

الى تحسين الذوق

LIBRARY
PRESBYT. SYRIA-EGYPT MISS.

DATE DUE

JAFFET LIB.
01 JUL 2008
Circulation Dept. 2

370.4:H34kA:c.1
هاشم، لبيبة
كتابات في التربية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01022180

370.4
H34kA